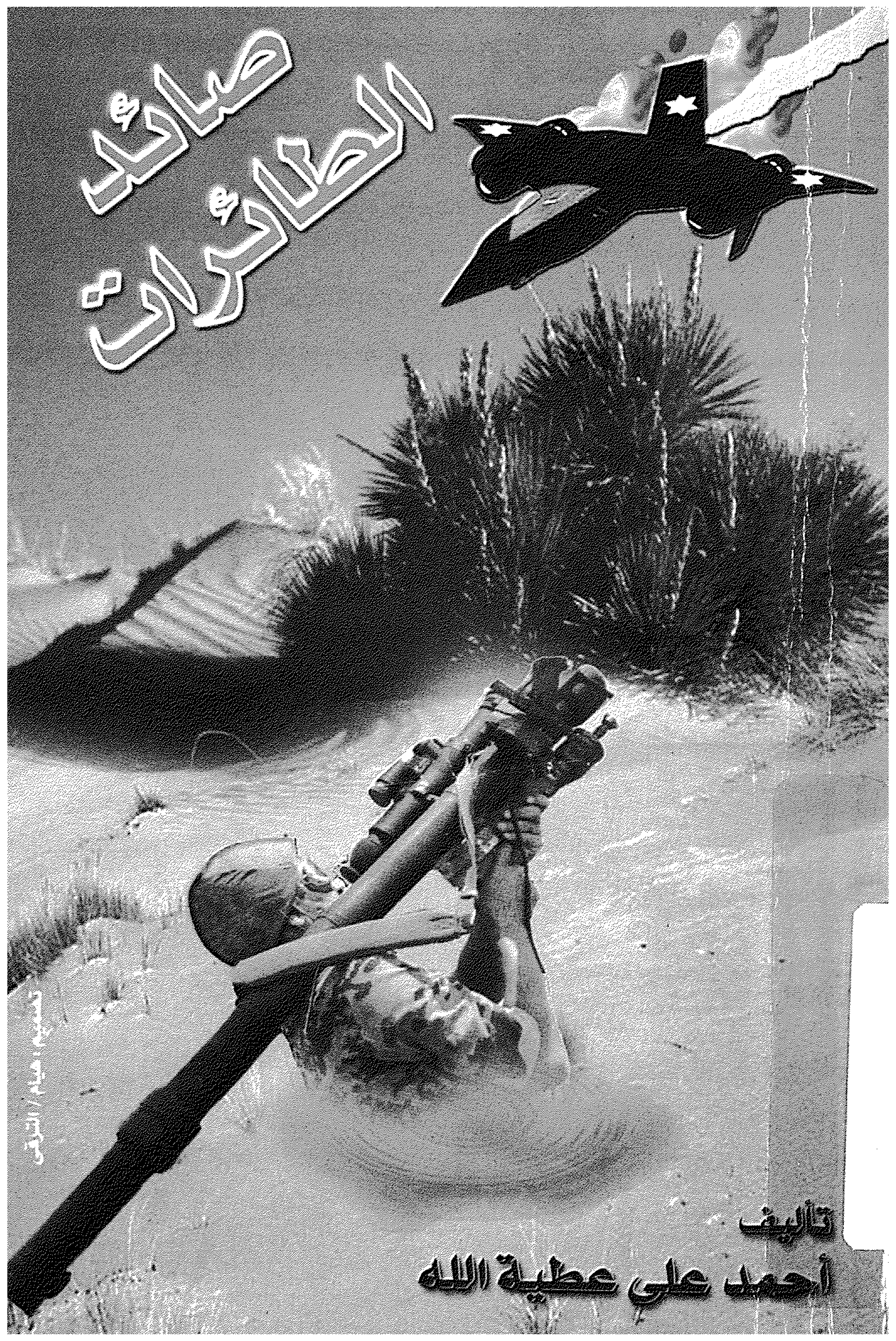

صائد الطائرات
تأليف
أحمد علي عطية الله

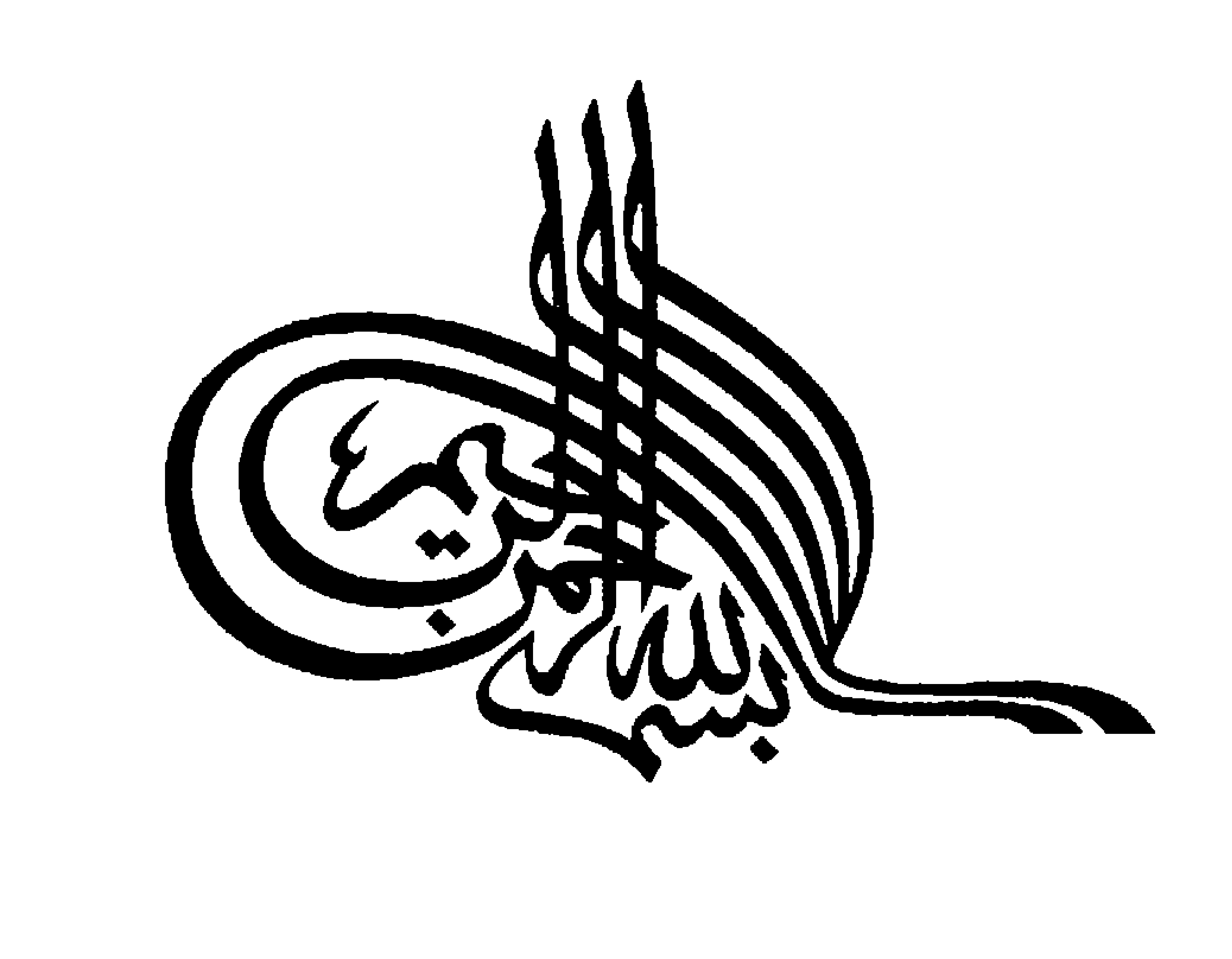
مـــن

ملاحم حرب أكتوبر

علــــوان

صائد الطائرات

تأليف : أحمد علي عطية الله


بسم الله الرحمن الرحيم

شكـــــر

* * * * *

أشكر الله تعالى

الذى ألهمنى إلى المساهمة بهذا العمل

المتواضع إعترافاً ووفاءاً لأبطال حرب

أكتوبر الشجعان ... ثم أتقدم بجزيل

الشكر ووافر العرفان إلى وزارة الدفاع

وأخص بالذكر فرع الإعلام

بإدارة الشئون المعنوية

* * * * * *

إهـــــــداء

* * * * *

إلى الأرواح الطاهرة لجنـودنـا
البـواسل الذيـن خضّبـوا بـدمائهم
رمال أرض سيـنـاء الغاليـة

*****

مقدمـــــة:

ستظل حرب العاشر من رمضان - السادس من اكتوبر عام ١٩٧٣ واحة نضرة فى تاريخ أمتنا العربية تفوح بعطر الذكريات المفعمة بمشاعر فياضة عن روح البطولة والفداء ..

وكلما مررنا بهذه الواحة الغنّاء صافحتنا بطولات لاتحصى ولا تعد سطرتها بأحرف من نور على صفحة الزمان جسارة وفدائية جنودنا الشجعان الذين كانوا قد عقدوا العزم وبيتوا النية على تحرير تراب الوطن واستعادة أرض سيناء الغالية ، وإعادة كرامة العسكرية المصرية التى غيّمت عليها أحزان نكسة يونيو ١٩٦٧ المريرة تحت شعار " النصر أو الإستشهاد ".

وبطل قصتنا هذه هو أحد هؤلاء الفرسان بسلاح الدفاع الجوى ، والحاصل على وسام نجمة سيناء أرفع الأوسمة العسكرية بمصر لأدائه المميز خلال حرب اكتوبر حيث إستطاع بتوفيق من الله تعالى أن يسقط بسلاحه وهو الصاروخ المحمول على الكتف ٩ طائرات للعدو ضارباً بذلك الرقم القياسى بين زملائه وهو أيضاً رقماً عالمياً حيث لم يسبق لأى جندى فى أى بقعة فى العالم من إسقاط مثل هذا العدد بل على العكس من ذلك نجد أن هذا الصاروخ قد أثبت فشلاً مدوياً على الأراضى الفيتنامية عندما استخدموه ضد الطائرات الأمريكية فى أثناء الحرب الأمريكية -

الفيتنامية . كما أن مثيله الأمريكي لم يحقق نجاحاً يذكر عند إجـراء التجارب عليه مما أصاب دولتى الصنـع لهذيـن الصـاروخين وهمـا الإتحاد السوفيتى السابق والولايات المتحدة بخيبـة أمـل ودخـل هـذا السلاح فى دائرة الظل إلى أن وقع هذا الصـاروخ فـى أيـدى أحفـاد الفراعنة. وبزغ نجم هذا الصاروخ فى حرب الإستنزاف على ضفة القنـاة منـذ عـام ١٩٦٩ .. وفاجـأ بـه المصريـون العـالم فـى حـرب ١٩٧٣.

فهـا هـى قصـة هذا الصـاروخ ...

وقصـة الرجل الصلب خلف الصـاروخ ...

إنها قصـة محمد علوان صـائد الطـائرات...

*****

المؤلف

صائد الطائرات في سطور:



الاســــــــــم : محمد رمضان عبده علوان

اسم الشهــــــرة : محمد علوان أو "علوان"

تاريخ الميلاد : ١٩٤٩/٥/٦

تاريخ الإلتحاق بالخدمة العسكرية ١٩٦٩/١٠/١٩

عدد ما أسقطه وأصابه من طائرات العدو :

* ٩ طائرات
* أسر ٢ طيارين إسرائيلين
* أنقذ طائرتين مصريتيــــــن

تاريخ ترك الخدمة العسكرية ١٩٧٤/٧/١

الأنواط والنياشين :

* وسام نجمة سيناء
* ووسام الشجاعة الليبى

عمله الحالي :

* مهندس زراعى ومسئول التنمية بالوحدة المحليــــة بمركز كفر الدوار.

الحالة الإجتماعية :

* متزوج وأب لأربعة أولاد الأبن الأكبر فى نــــهائى الكلية الحربية.

*****

الفصل الأول

إبـن الفلاحين

عندما

إلتقى مع الرئيس الراحل أنور السادات

فوق ظهر المدمرة ٦ أكتوبر فى صباح يوم الخامس من يونيو عام ١٩٧٥ فى إحتفالات إعادة إفتتاح قناة السويس للملاحة كأحد إنجازات نصر أكتوبر ٧٣ سأله الرئيس السادات وهو يصافحه عن بلدته وعمل والده ... فأخبره علوان أنه من عزبة مارون ، مركز كفر الدوار ، محافظة البحيرة وأن والده يعمل مزارعاً ..

فكان تعليق الرئيس السادات

لمن حوله من ضيوف مصر وممثلى الإعلام

همّ دول ولاد الفلاحين اللى عندهم الوفاء

لبلدهم ، ولديهم الجلد والصمود

أمام الصعاب

من طين ريف مصر نبت بطلنا .. تتغلغل جذوره فى أعماق تاريخ مصر ذات حضارة السبعة آلاف عام .. ولأنه ولد فى شهر رمضان الكريم فقد رغبت والدته فى تسميته رمضان، فى حين أن والده كان يرغب فى تسميته محمد .. وحلاً لهذه المسألة فقد إتفق الطرفان لكى يرضى كل منهما الآخر أن يسموه "محمد رمضان" ..

نشأ الوليد وبدأ يخطو أولى خطواته فى الحياة بعزبة مارون التابعة لناحية سيدى غازى بمركز كفر الدوار بمحافظة البحيرة فى الركن الشمالى الغربى من الدلتا .. ولم يكن يزيد عدد منازل تلك العزبة الصغيرة عن حوالى عشرين منزلاً كلها مشّيدة من الطوب اللبن ، ومسقفة بفلوق النخيل وجذوع شجر الكافور وبينهم أعواد الغاب ثم كسوها بطبقة من الطمى، وكانت تلك العزبة ولا تزال حتى الآن اشبه بجزيرة محاطة بالماء حيث يجرى من امامها وخلفها مصرفان لمياه الرى يصب فى أحدهما ترعة البسلقون ولكن الطبيعة الخلابة تلفها بأريج عطر، وهواء عليل ..

فها هى السماء بزرقتها وصفائها تتلاقى فى حنو وعطف على إمتداد البصر مع الأرض الخضراء المنبسطة فى عناق أبدى يدل على الوفاق والوئام وبينهما ترفرف اسراب الحمام فى سلام مما ينعكس أثره على حياة الأهالى البسطاء المسالمين ..

وبدأ الطفل الصغير يدرك ما حوله فوجد نفسه أحد أفراد اسرة ريفية كبيرة العدد ، فهو السادس فى الترتيب بين أخوة واخوات عددهم ثمانية ، ولكن إمتاز منذ صغره بحبه للإستطلاع وحركته المستمرة التى ساعده عليها إنه كان مفعماً بالحيوية والنشاط الذى كثيراً ما كان ينقلب إلى مشاكسه لإخوانه وأقرانه مما يدفعهم إلى معاقبته أو الشكوى لوالديه لينال نصيبه من العقوبة .

وكان أهم ما يلفت نظره فى تلك السن الصغيرة حظيرة المواشى بدارهم فكان يراها أحيانا وقد أمتلأت بأعداد وفيرة من البقر والجاموس وبعد مدة وفجأة يراها خاوية ، فعلم أن والده يعمل بتجارة الماشية إلى جانب فلاحته هو وإخوته الأكبر سناً فى قطعة الأرض التى يمتلكونها ، ويتاجروا أيضاً فى حاصلاتها الزراعية.

*****

بدأ محمد رمضان مشوار تعليمه فى كُتّاب القرية فتعلم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم على يد الشيخ محمد عبد القادر ثم إنتقل إلى كُتّاب آخر بنفس قريته فتعلم على يد أحد خريجى الأزهر الشريف وهو الشيخ محمد حمامة .. وما لبث أن التحق بمدرسة إبتدائية ولكنها كانت بالطبع خارج عزبتهم على بعد ٣ كيلومترات بقرية منشية الهلباوى ولم يكن يذهب معه إلى تلك المدرسة سوى طفل واحد من بين جميع أبناء العزبة حيث كان

التعليم فى ذلك الوقت يعتبر من الكماليات وليس من الأساسيات فالعمل الأساسى لأهل الريف كان زراعة الأرض ورعايتها يتعاون فى ذلك جميع أفراد الأسرة ، وكان من يذهب منهم إلى المدرسة يعتبر طاقة عاطلة لا ينتفع بها ..

وفى مدرسة منشية الهلباوى الإبتدائية بدأ محمد رمضان من الصف الثانى الإبتدائى وذلك بعد إختبار قياس المستوى نتيجة للفترة السابقة التى قضاها فى الكُتّاب .. وكان الشيخ حسن الشاعر بزيه المميز المكون من جبة وقفطان وعمامة حمراء من أحب مدرسى المدرسة إلى قلب التلاميذ لمحاولاته المستمرة بكافة الوسائل فى ترغيبهم وتحبيبهم فى الدراسة والإقبال على المدرسة التى لم تكن سوى منزل ريفى مكون من أربع حجرات كل منها عبارة عن فصل لأحد السنوات الدراسية ...

وفى العام الدراسى التالى ١٩٥٨ أنتقل محمد رمضان إلى مدرسة أخرى أنشئت حديثاً كا أحدى إنجازات ثورة يوليو ١٩٥٢ للنهوض بالريف المصرى حيث تم إنشاء وحدة مجمعة بقرية سيدى غازى مكونة من مدرسة، ووحدة صحية، ووحدة شئون إجتماعية ثم وحدة زراعية ..

كانت تلك المدرسة الجديدة التى نقل إليها الطفل غير قريبة هى الأخرى إذ كانت تبعد حوالى ٢,٥ كيلو متر ولكنها كانت

بمنطقة أكثر عمراناً وكان الطفل يقطع هذه المسافة أيضاً سيراً على الأقدام فى الذهاب والعودة على حافة المصرف الذى يسلمه للمدرسة.

وكان البرنامج الدراسى اليومى للطفل مشحوناً حيث كانت تمتد الدراسة من الصباح المبكر حتى الثالثة عصراً توزع عليهم أثناءها وجبة غذائية جافة ... وبعد عودته إلى المنزل وترك كتبه كان يجب عليه المساهمة فى أعمال الزراعة وأقلها جهداً إطعام وسقاية الماشية وكل ما يكلف به من أعمال تتناسب مع سنه الصغيرة وكان دائماً ينجزها بنجاح وكفاءة ويتجه لمعاونة الآخرين فى أعمالهم لرغبته الدائمة فى العطاء وعدم إنتظار المعاونة من الآخرين ...

وفى أوقات الفراغ القليلة كان يمارس بعض الألعاب مع أقرانه وكانت فى الغالب إما فى سباقات الجرى ... أو فى لعب كرة القدم التى لم يكونوا يهتموا فيها بإحراز أهداف حيث لم يكن هناك مرمى بل يكتفوا بالجرى بالكرة ومحاورة الآخرين ...

أما أحب الهوايات الى نفس الصبى فكانت صيد الطيور من فوق أغصان الأشجار بالنبلة، وكان قد أعد لذلك عدد من النبل مختلفة الأشكال والأحجام ولكنها جميعها مصنوعة اما من المطاط المرن المأخوذ من الإطارات الداخلية القديمة للدراجات، أو من

الأساتك المستخدمة فى الملابس، وقد تفوق وبرع فى هـذه الهوايـة، وكان يتبارى فى بعض الأحيان مع أقرانــه بإسقاط البلـح مـن فـوق النخل بواسطة قذفه بقطع الطوب.

وكان أيضاً أمهر أقرانه فى أصابة سـباطات البلـح وإسقاط عدد وفير منه يتسابق زملاؤه فى جمعه من على الأرض مما كـان يعطيه شعوراً بالرضى عن النفس لتفوقـه وتبوئـه لموقـع الصـدارة والقيادة لمجموعته.

*****

وما لبث بطلنا أن اجتاز إمتحـان الشـهادة الإبتدائيـة وإنتقـل إلى المرحلة الإعدادية فى عام ١٩٦٣، وكـانت تلـك المرحلـة أكـثر صعوبة ومشقة على الصبى بسبب بعد مسافة المدرسة عـن العزبـة والتى تبلغ ١٢ كم، وهى مدرسة كفر الدوار الإعدادية.

ومع سوء حالة الطرق فى ذلك الوقت فكان عليـه أن يسـير يوميا مسافة ٢ كم حتى يصل إلى الطريق الرئيسى المؤدى إلى كفر الدوار حيث يستقل اتوبيس او سيارة متجهةإلى هناك، ويكـرر نفـس الوسيلة فى العودة ...

وكانت الأمور تزداد سوءاً فى فصل الشتاء ونتيجة لقرب هذه المنطقة من الاسكندرية فكانت تتعرض لنفس النوات، والطقس السئ الذى يخيم على السواحل الشمالية خلال فصل الشتاء فقد يستمر هطول الأمطار الغزيرة عدة أيام متواصلة فتجعل الأرض موحلة يصعب السير عليها ، فما كان من بطلنا إلا ان يفعل مثلما يفعل باقى زملاؤه أثناء ذهابهم للمدرسة حيث يشمرون بنطلوناتهم، ويخلعون أحذيتهم وجواربهم، ويسيرون حفاة وبالقرب من مدارسهم يغسلون أقدامهم بأحدى الترع ويعيدوا لبس الجوارب والأحذية قبل دخولهم لفناء المدرسة الذى كان هو الآخر مليئاً بالأوحال وإن كانت اقل نوعاً من أوحال الطريق الزراعى ...

لم يكن تلاميذ المدرسة وحدهم الذين يعانون من سوء الطقس بل كان يعانى منها جميع الأهالى ولا سيما فى الحالات الطارئة مثلما حدث فى إحدى ليالى الشتاء لإحدى سيدات العزبة عندما شعرت بآلام المخاض إيذاناً بوضع جنينها، ولما كانت الولادة متعسرة لم تجدى معها حيلة جاراتها المتخصصات تقرر نقلها على وجه السرعة إلى مستشفى كفر الدوار لإنقاذ حياتها وكانت تلك الليلة مطيرة حالكة الظلام والطريق حتى مكان المواصلات طويل يبلغ كيلومتران ملئ بالأوحال، وقد خشى أن تتزلق أقدام الدابة التى تحملها فتعرضها لخطر محقق فما كان من اهل العزبة إلا ان نقلوها هذه المسافة الطويلة بواسطة احد قوارب الصيد الصغيرة

عندما تأكد لهم فى تلك اللحظـة أن المـاء أسلم مـن اليابسـة، وبهـذه الوسيلة امكنهم نقلها إلى طريق المواصلات ... ومن هنـاك عثروا على احدى السيارات التى كانت فـى طريقهـا إلـى كفـر الـدوار فـى رحلـة شـاقة عصيبـة حتـى تمـت عمليـة الـولادة علـى خـير بفضـل الله...

ثم لا تلبث الشمس الذهبيـة أن تسـطع مـرة ثانيـة فتتسلل اشـعتها الدافئـة خـلال العـروق والعظـام وتنمـو الـزروع وتمتلـئ الضروع، وتصلح ما أفسدته الأمطار ..

وعندما شق على الصبى هذا العناء اليومى فإنـه انتقل فـى بداية الصف الثانى الإعدادى إلى مدرسة أخرى وهـى مدرسـة أبـو المطامير الإعدادية على نفس مسـافة المدرسـة الاخـرى ولكـن فـى اتجاه آخر حيـث أمكـن تدبـير سـكن خـاص لـه بـالقرب مـن بعـض الأقـارب الذيـن قـاموا برعايتـه حتـى أنهـى دراسته الإعداديـة عـام ١٩٦٦ بمجموع ٧٠٪ وكان هذا المجموع يتيح له الإلتحاق فى ذلك الوقت بالتعليم الثانوى العام ..

ولكن أسرته فضلت الحاقه بالتعليم الثـانوى الزراعـى الـذى يتيح له الألتحاق بعمل مباشرة فور الحصـول علـى شـهادة الدبلوم، ويتجنب المعاناة والمصاريف التى يمكن ان يتكلفها إذا مـا فكـر فـى إكمال تعليمه الجامعى وما يستلزمه ذلك من ضرورة الإقامة خـارج

المحافظة بجوار الجامعة .. وبالفعل التحق محمد رمضان بالمدرسة الثانوية الزراعية بدمنهور عاصمة محافظة البحيرة وكانت تلك المدرسة هى الوحيدة من هذا النوع فى المحافظة والإقامة بها داخلية ..

وفجأة .. وعلى غير توقع إندلعت معركة الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ والتى كانت إمتداداً لمؤامرات الإستعمار لضرب إنجازات الثورة المصرية، وعرقلة تقدمها، ووقف مسيرتها.

ولما كانت خطة العدو الإسرائيلى مبيته، وأسلوب هجومه على الطائرات المصرية مفاجئاً ومباغتاً فقد أحرز نصراً خاطفاً ساعده عليه تضارب وتخبط القيادة السياسية التى فوجئت بإنكشاف قواتنا بدون غطاء جوى يحميها فصدر قرار الإنسحاب الذى تم بدون تنظيم مما زاد من حجم الخسائر فى الأرواح والمعدات دون أن تتاح للجندى المصرى الفرصة لإظهار قدراته وكفاءته إذا دعت الظروف لدخوله حرباً من اجل الدفاع عن وطنه وعروبته وكانت محصلة تلك الحرب الخاطفة أن فقدت مصر قطعة غالية من أرضها وهى سيناء كما فقدت العسكرية المصرية بلا ذنب منها كرامتها وكبريائها.

أما الجبهة الداخلية فقد أصابها الذهول والوجوم حيث ساعد على ذلك سقطة أجهزة الإعلام التى أذاعت فى بداية المعركة بيانات عسكرية تغير بصدد الهجوم الاسرائيلى وبمبالغة واضحة أخذت تذكر أعداد الطائرات الاسرائيلية التى أسقطت بالعشرات ثم بالمئات .. ولكن ما لبثت الحقيقة أن اتضحت وأصبح من غير الممكن إخفاء حجم الكارثة، فعلم الشعب بإنسحاب الجيش المصرى من سيناء، وأصبحت قناة السويس هى حدودنا مع اسرائيل .. وأصيب الشعب بإحباط عندما ظهر الرئيس عبد الناصر يعلن تحمله لمسئولية النكسة وتنحيه عن السلطة ..

وهنا ظهر معدن الشعب المصرى العريق فى لحظات الخطر عندما عمت المسيرات والمظاهرات العارمة كل أنحاء مصر ليعبروا عن رفضهم للهزيمة والتفافهم حول زعيمهم وتقديم أرواحهم فداءاً لوطنهم فى سبيل تحرير كل ذرة رمل من أرضهم وزحفت المسيرات الهادرة نحو القاهرة لمطالبة الزعيم بالإستمرار فى قيادته لشعبه ..

وخرج الشاب الصغير محمد علوان مع من خرجوا يدفعه حماس الشباب وشعور بالمسئولية فركب مع اهل محافظته القطار الذى أقلهم إلى القاهرة وكانت تلك المرة الأولى التى تطأ فيها قدماه العاصمة العريقة .. وسارت به المظاهرات من محطة رمسيس إلى

شارع الجلاء ثم شارع ٢٦ يوليـو حتـى ميـدان الإوبـرا ومنهـا إلـى ميدان عابدين الذى فاض بجموع البشر المتلاطمة كالأمواج الهادرة .. واستجاب عبد الناصر لإرادة الشعب وبدأت رحلة بناء الجيش .. وإعداد الجبهة الداخلية.

*****

ومع بداية عامـه الدراسـى الجديـد بـالصف الثـانى الثـانوى الزراعى لاحظ محمد رمضان إختلاف الحياة المدنية عن ذى قبـل، فها هى مـادة دراسـية جديـدة قـد أدخلـت إلـى المـدارس وهـى مـادة التربية العسكرية التى يقوم بتدريسها وتدريب الطـلاب عليهـا أطقـم من ضباط وصـف ضباط القوات المسلحة ... وكان رمضـان شـغوفاً بهذه المادة وكان لا يكتفى بالمواظبة علـي دروسـها بـل كـان يلتقـى كثيراً بـالملازم أول إحتيـاط عـواد الضـابط المسـئول عـن تدريبهـم ويسأله عن كثيرمن الأمور العسكرية فى غير حصص المادة، كمـا كان أهتمامه واضح بالإعتنـاء بزى التربيـة العسـكرية الرصـاصـى اللون حتى تم أختياره حكمدار لفصله.

*****

ولاحـظ رمضـان أيضـاً إهتمـام جميـع المصـالح الحكوميـة بتدريب أفرادها على أعمال الدفاع المدنى والإنقاذ .. بالإضافة إلـى

فتح باب التطوع للجيش الشعبى الذى عرف بإسم المقاومة الشعبية التى أوكلت لها مهام حماية الأماكن الهامة داخل المدن .. وقد أثار الزى الكاكى لهذه الفئات حماس الشباب وجعله متشوقاً ومتلهفاً على بدء مشاركته جندياً فى صفوف القوات المسلحة لا سيما وأن اخبار بطولة إخوانه على جبهة القتال بدأت تتردد فى الداخل من أعمال فدائية جرئية تتم بنجاح خلف خطوط العدو، وتكبيده كثير من الخسائر والتى كان العدو يقابلها بقصف مدفعى وجوى مركز ضد المناطق المدنية على طول خط القناة مما تسبب فى تدمير مدن القناة الثلاثة السويس والإسماعيلية وبورسعيد وهجرها أهلها واقاموا بمختلف محافظات الجمهورية ...

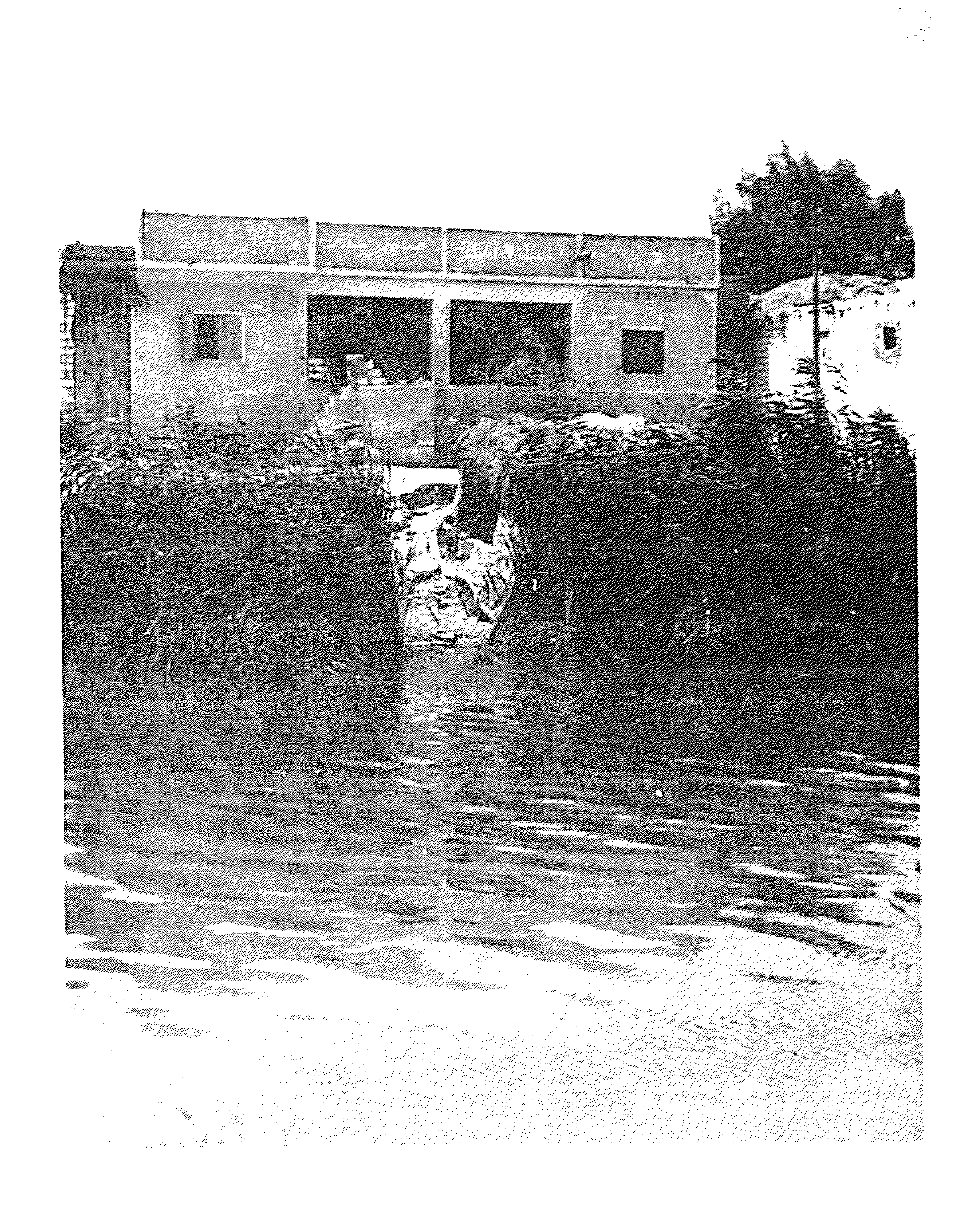
ولم يكتف العدو بذلك بل تعداه بالإغارة على بعض المنشآت المدنية بالداخل سواء كانت إقتصادية مثل مصنع أبو زعبل أو تعليمية كمدرسة بحر البقر فى محاولة لإظهار تفوقهم الجوى وأنهم أصحاب اليد الطولى، ولخفض الروح المعنوية لدى الشعب ..

لم يدم إنتظار رمضان طويلاً ... فما لبث أن أنهى دراسته وحصل على دبلوم المدارس الثانوية الزراعية عام ١٩٦٩ بمجموع ٧٥ ٪ وكان هذا المجموع يتيح له فرصة الإلتحاق بمعاهد الزراعة العليا ولكنه كان قد خطط لنفسه أمراً آخر ... حيث قرر أن يبادر

بالإلتحاق بصفوف القوات المسلحة أولاً ليكون له شرف المشاركة في معركة التحرير المنتظرة من أجل إعادة البسمة من جديد على وجه مصر ...

وبعدها تأتي باقي الأمور الأخرى كإتمام الدراسة أو التوظف بالدبلوم ، أو الإرتباط بالزواجِ كل ذلك يأتي في المرتبة التالية لخوض معركة الكرامة ...

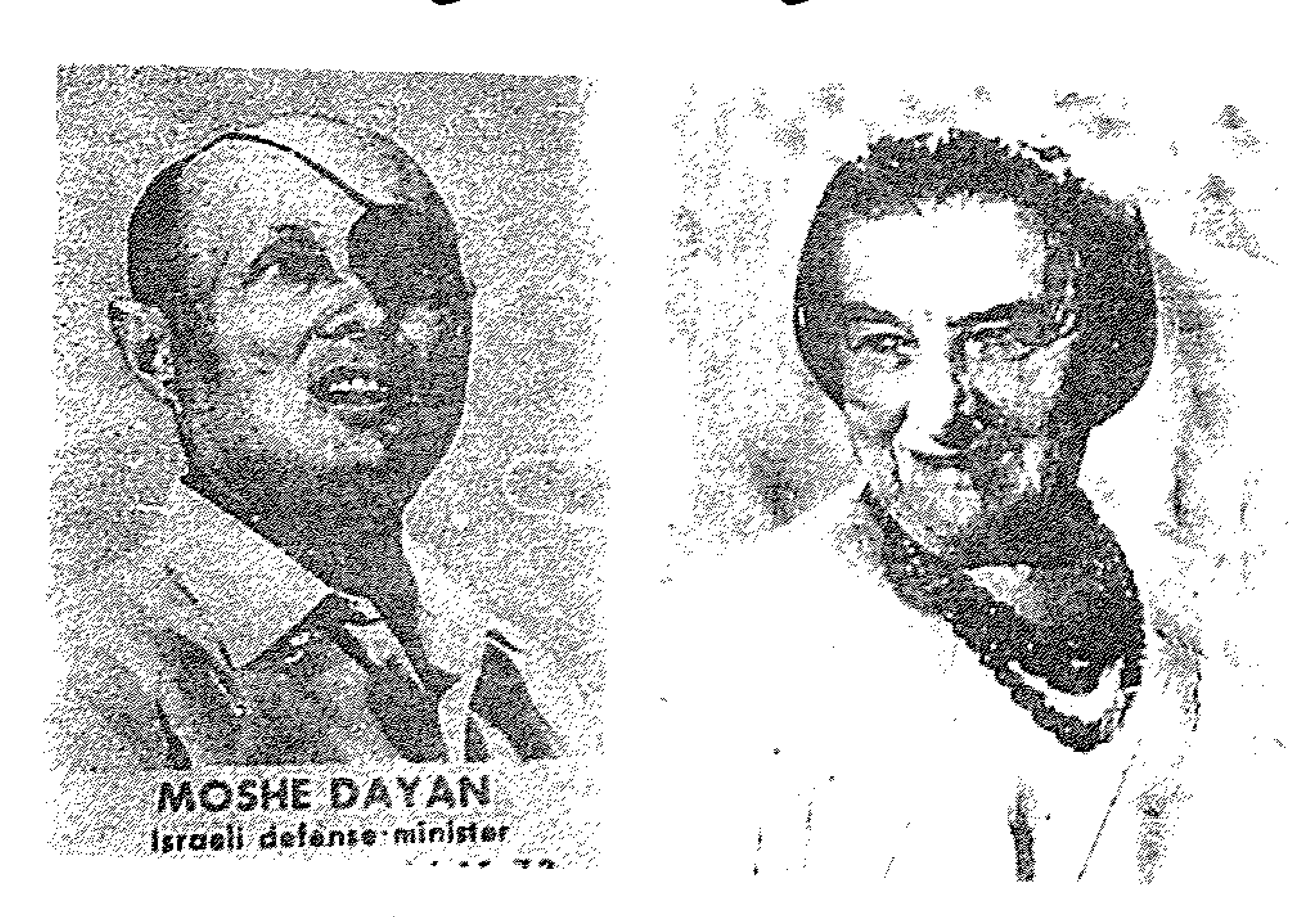
*****



عزبة مارون



عبد الناصر يلقى خطاب التنحى عقب النكسة



نشوة النصر على وجوه الأعداء

جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل

ووزير دفاعها عقب حرب الخامس من يونيو ١٩٦٧

الفصل الثانى

من الدار لخط النار

على

مدار تاريخها الطويل
تعرضت مصر لكثيرٍ من الغزوات الخارجية
فبادر أبناؤها الشجعان بالزود عنها ضد فلول
المعتدين فنحوا فؤسهم وأزاميلهم جانباً وحملوا
بدلاً منها أسلحتهم حتى لقنوا المعتدي الغاصب ما
يستحقه .. وطهروا بلادهم من دنسه وهذا ما فعله
بطلنا حين بادر بتقديم نفسه للخدمة
في صفوف الجيش ... وخلال أقل من أربعة
شهور تحول من شخص مدني إلى
مقاتل ماهر .. فخلال هذه المدة
القصيرة إنتقل علوان
من الـــــدار
لخط النار

دفع الحماس وفيض الوطنية والشعور بالمسئولية محمد رمضان والذى سنطلق عليه من الآن اللقب الذى اشتهر به فى حرب اكتوبر ١٩٧٣ وهو "علوان" أن يبادر بتقديم نفسه لصفوف القوات المسلحة دون إبطاء أو إنتظار لمن يستدعيه حينما يحل عليه الدور .. بل ذهب من تلقاء نفسه المرة تلو الأخرى الى مركز التعبئة بكفر الدوار مع مجموعة من زملاء الدراسة الذين شعروا بنفس الدافع، ولما لم يجدوا أسمائهم بين المطلوبين للتجنيد حيث لم يحن عليهم الدور سافروا إلى المنطقة العسكرية بحى مصطفى كامل بالأسكندرية، والتى كانت تقع على البحر مباشرة فتم قبولهم على الفور يوم ١٩ اكتوبر ١٩٦٩ وبدأت إجراءات تجنيدهم بنفس اليوم الذى أجرى عليهم فيه الكشف الطبى وتم التأكد من سلامتهم ولياقتهم البدنية، وتم تحديد سلاحهم وعلم علوان إنه تم توزيعه على سلاح الدفاع الجوى الذى لاحظ مدى الإهتمام به فى تلك الفترة من الأعداد الكبيرة للمجندين الذين أُلحقوا به ...

وفى نهاية ذلك اليوم المشحون سمح لهم قادة المنطقة الذهاب إلى ذويهم على أن يعودوا فى صباح اليوم التالى لإستكمال إجراءات التجنيد وبكل سعادة قابل علوان أسرته فخوراً بما أنجزه وأخبرهم انه من الغد سيصبح جندياً فى الجيش المصرى، وبالرغم من أن أسرته قد تعودت منه الطموح والتطلع للجديد دائماً إلا أنه

قد فاجأهم بسرعة إلتحاقه بصفوف القوات المسلحة فهى المرة الاولى منذ ما يزيد عن سبعة عشر عاماً التى يلتحق بها أحد أفراد الأسرة بالجيش عندما خدم أخيه الأكبر به عام ١٩٥٢ ولكنهم لم يملكوا سوى الدعاء له ولزملائه أن يحفظهم الله ويرعاهم ويحقق على أيديهم النصر ...

*****

وفى صباح اليوم التالى توجه علوان لمنطقة التجنيد بالأسكندرية حيث تمت باقى أجراءات التجنيد من تسلم للمهمات العسكرية من أفرولات وأحذية وأغطية وأدوات الطعام ووضعوها جميعاً فى المخلة القماش التى رفعوها خلف ظهورهم ، وانطلقوا مع مندوب التجنيد فى رحلة طويلة إلى مشارف القاهرة ... وهناك بدأ علوان أولى خطواته فى حياة جديدة كان متشوقاً للإنغماس فيها لتحقيق أمانيه تجاه الوطن، فشعر بسعادة غامرة حين وجد نفسه أحد أفراد القوات المسلحة طليعة أبناء مصر، ودرعها الواقى.

*****

وبدأ برنامج التدريب الأساسى على تعلم مبادئ النظام العسكرى من إنضباط وإلتزام وإطاعة أوامر القادة بالتوازى مع تدريبات رياضية لرفع اللياقة البدنية إلى جانب محاضرات لإكتساب

المزيد من الثقافة العسكرية والتاريخية ... وعلى الرغم من الضغط الذى سببه هذا البرنامج الحافل وخاصة فى الفترة الأولى التى ينتقل فيها الشاب من الحياة المدنية إلى أسلوب حياة أخرى مختلفة إلا أن علوان كان سعيداً من قرارة نفسه بهذه الحياة الجديدة التى وجد فيها تحقيقاً لذاته ورغباته ولم يشعر بأى ضجر على الرغم من أن اليوم التدريبى كان يبدأ فى الخامسة فجراً مع تنفس نسمات صباح يوم جديد ويستمر حتى العاشرة مساءاً عندما يكون التعب والجهد قد أخذ من الجنود المستجدين مأخذه ...

*****

ومرت الأيام والأسابيع فى تدريبات مستمرة بلا إنقطاع حوالى الشهر حتى نهاية مرحلة التدريب الأساسى ... فتم تقسيم الجنود المستجدين إلى مجموعات وتم إعداد كشف بتوزيع كل مجموعة على أحد أفرع سلاح الدفاع الجوى على أن يتم التدريب التخصصى فى مراكز تدريب أخرى متخصصة يلحق بها الجنود بعد عودتهم من أجازة منحها لهم مركز التدريب لمدة أربعة أيام ... وعلم علوان أن توزيعه جاء على فرع البالونات وسيكون موقعه بجوار السد العالى فى أسوان ...

كانت فرحة أسرة علوان بالغة عندما شاهدوا إبنهم وقد وضعت الحياة العسكرية عليه بصمتها فقد شاهدوا شخصاً آخراً

مختلفاً يظّهر عليه الإنضباط وسعة الأفق كما وضح عليه إرتفاع اللياقة البدنية وإمتلأ جسمه ... وأثناء تلك الإجازة زار علوان أسرة إبن عم والده فؤاد زيدان بالأسكندرية ليستفسر من أبنا عمه الضابطان بالقوات المسلحة عن هذا الفرع الذى تقرر إلحاقه به داخل سلاح الدفاع الجوى وهو فرع البالونات الذى لم يكن قد سمع به من قبل ... فعلم منهما إنها نوع من البالونات الضخمة التى تملأ بالهواء وتثبت فى الأرض بأعداد كبيرة وترتفع لمسافة من ٣٠٠- ٥٠٠ متر ومثبت بأعلى الحبال القوية المربوطة بها شحنات متفجرة كدفاع سلبى لبعض المنشآت الحيوية ضد إغارة طيران العدو المنخفض حيث من المفترض أن تنفجر هذه العبوات الناسفة فى الطائرات المعادية بمجرد دخولها فى حقول البالونات ...

*****

وبمجرد سماع علوان هذه المعلومات شعر بعدم الرضا نحو هذا السلاح الذى ما كان ليخرج الطاقة المكنونة بداخله وحب المغامرة، والتفوق والتميز المصاحبين له منذ الصغر وأضمر فى نفسه أمراً...

*****

وما إن عاد علوان إلى مركز التدريب بألماظه بعد إنتهاء أجازته وكانت الساعة وقتها العاشرة مساءاً لم ينتظر إلى الصباح حتى يتم ترحيله إلي وحدته الجديدة بل بادر مسرعاً بطلب مقابلة الرائد أخنوخ قائد مركز التدريب فى مكتبه الذى كان يجلس فيه كعادته حتى هذا الوقت المتأخر مع معاونيه، وعلى الرغم من أن كثيراً من هؤلاء الضباط كانت أسرهم تقيم بالقاهرة إلا أنهم بكل الإحساس بالمسئولية كانوا دائمى التواجد بين إخوانهم الجنود على مدى الأربع والعشرون ساعة لا يفارقوهم ليلاً أو نهاراً مما كان له بالغ الأثر فى نفوس الجنود الجدد...

وسمح القائد للجندى علوان بالدخول إلي خيمة القيادة ودار بينهما الحوار التالى:

علوان: (بعد أن ادى التحية العسكرية) تمام يا افندم ...

القائد: نعم ياجندى ... فيه أيه ؟

علوان: يا افندم انا تم توزيعى على السد العالى بأسوان تبع البالونات (ثم بعبارات سريعة متلاحقة يغلب عليها التأثر) وانا يا افندم موش عاوز اروح السد العالى، ولا أسوان، ولا البالونات دى ...

القائد : أمال عايز تروح فين يا علوان ..؟

علوان : أنا عايز اروح مع زملائى اللى رايحين على الجبهة ...

القائد : أنت منين يا علوان ؟

علوان : أنا من جنب اسكندرية ..

القائد : خلاص أنا حا أوديك الإسكندرية ..

علوان : لأ يا فندم أنا موش عايز أروح إسكندرية .. أنا عايز أروح الجبهة ..

القائد : إذا كنت عاوز تروح الجبهة لازم تروح الإسكندرية الأول... (وبأمر حازم) إنصراف ... والصبح حا تلاقى نفسك مع المجموعة اللى رايحه الإسكندرية ...

وخرج علوان من عند قائده فى حيرة بالغة، ولكن يجب عليه إطاعة الأوامر، وتنفيذ ما يطلب منه ...

*****

وبالفعل فى صباح اليوم التالى وجد علوان إسمه فى كشوف المجموعة التى سيتم ترحيلها إلى الإسكندرية ... وبواسطة

سيارات القوات المسلحة تم نقله ضمن مجموعة ضخمة بلغت خمسمائة جندى مستجد إلى محطة السكة الحديد بميدان رمسيس، وكان الملفت للنظر أن جميعهم من حملة المؤهلات سواء العليا أوالمتوسطة، وظلوا بالمحطة فترة من الوقت حتى إستقلوا القطار الحربى المخصص لهم والذى تحرك بهم عند منتصف الليل ...

*****

وعند فجر اليوم التالى كان القطار يقف بهم على رصيف محطة مصر بالأسكندرية ... وامتلأ بهم رصيف المحطة حتى استقلوا قطار آخر بصحبة مندوبهم حتى منطقة أبى قير شرق الإسكندرية ... وعلى بعد خطوات قليلة من محطة قطار أبى قير إستقبلهم مركز التدريب الذى يشغل مساحة شاسعة من الأراضى... وفى أحد الهناجر الضخمة بمركز التدريب إصطف الجنود، وفى حوالى الساعة الحادية عشرة صباحاً حضر إليهم ضابط برتبة رائد يرتدى زى القوات البحرية وأخذ يتخلل صفوفهم ، وبعين خبيرة يتفحصهم، وينتقى بعضهم ... لم يتعدى عدد الذين وقع عليهم الإختيار عشرون جندياً كان بطلنا علوان من ضمنهم ...

*****

أصطحب الرائد هؤلاء الجند بأحدى سيارات اللورى العسكرية ... وقد تأثر علوان بشخصية ذلك الضابط تأثراً كبيراً وظلت صورته عالقة بذهنه مدة طويلة، لما يتمتع به من صفات عديدة منها وسامته، وهدوئه وجديته، ونظرته الفاحصة ... وزاد هذا الإعجاب بعد أن علم أنه أحد أبطال الرماية بالقوات البحرية ألا وهو الرائد بحرى / مدحت وهدان.

*****

وبمجرد وصول العشرون جندياً حتى صدرت الأوامر بأن تتوجه هذه المجموعة بنفس السيارة التى تقلهم بصحبة ضابط آخر إلى المستشفى البحرى، حيث وجدوا هناك مكاناً معداً لإستقبالهم تركوا فيه مهماتهم، وتناولوا وجبة صرفت لهم تناولوها على عجل ثم توجهوا إلى غرفة خلع الملابس حيث تخففوا من معظم ملابسهم، وأُجريت عليهم فحوص طبية شاملة وإن كان هناك تركيزاً على ثلاث أمور وهي: قياس حدة الإبصار، وتكوينات العظام، وقوة الأعصاب ... وأسفرت تلك الفحوص عن إختيار علوان وجنديان آخران فقط من بين العشرين جندياً الذين أجرى عليهم الفحص، وتم إرسال هؤلاء الجنود الثلاثة في حين أُعيد باقى زملائهم مرة أخرى وعند تلك اللحظة شعر علوان شعوراً داخلياً إنه مقبل على عمل

هام وحساس بين صفوف القوات المسلحة وأن الله قد استجاب دعاءه وحقق رجاءه فى القيام بعمل هام.

*****

وبمجرد وصول علوان وزميليه وجدوا هناك من ينتظرهم وكان الرقيب أول متطوع احمد عبد الحى الذى ما أن رآهم حتى استقبلهم مرحباً قائلاً لهم: "أهلاً بالوحوش، إتفضلوا معايا لمكان المبيت لتأخذوا قسطاً من الراحة، وفى الصباح إن شاء الله تنضموا إلى زملائكم الذين سبقوكم" ... واستسلم الثلاثة لنوم عميق من أثر المجهود الشاق الذى بذل خلال اليومين السابقين ...

*****

وفى الصباح الباكر بدأ اليوم التدريبى الأول لعلوان وزميليه فبدأوا بطابور التمام فى الخامسة والنصف صباحاً أعقبه طابور اللياقة البدنية ... وأخذ علوان يستطلع ما حوله فوجد أنه قد أنضم مع زميليه إلى مجموعة أخرى من الجنود يكملوا بهم المائة... وشيئاً فشيئاً بدأت تتكشف لعلوان طبيعة المهمة المقبل عليها حينما سمع من حكمدار المجموعة أمراً عسكرياً موجهاً لهم وهو:

"إجمع الرماة "...

فاصطفت المجموعة كالمعتاد ... وحينئذ تساءل علوان في نفسه :"اذن فالآن قد أصبحت رامياً ... ولكن ما الذى سأرميه ؟ "

وما لبثوا أن توجهوا لتناول إفطارهم .. وبعدها تسلمهم الرقيب أول عبد الباقى ابو العينين شعيشع وكان رجلاً ذو خلق وصفات عسكرية مميزة والذى قام بدوره بتسليم الطابور للملازم أول شريف الذى ترك هو الآخر إنطباعاً جيداً فى نفس علوان لتمتعه بما يجب أن يتحلى به القائد دائماً من صفات حميدة كالخلق الطيب، والتفانى فى العمل وآداء الواجب، وعشق العسكرية، واحترام الجنود ... والذى شرح لهم طبيعة مهمتهم حين بادرهم قائلاً:

"أهلا بكم يا رجّالة ... إنتم مجموعة مختارة ... وكلكم مؤهلات .. كما إنه قد تم إنتقائكم بدقة طبياً ... علشان حا تدرسوا معانا نوع من أحدث وسائل الدفاع الجوى ضد الطيران المنخفض .. وهذا النوع من السلاح له طابع خاص من الأهمية تستلزم أمن وسرية قصوى حتى داخل القوات المسلحة ..."

لم يصبر علوان حتى يكمل القائد كلامه بدافع من الفضول فرفع يده مستأذناً .. فسمح له القائد بالكلام فتساءل : " وما هذا النوع من السلاح يا إفندم ؟ " ...

فرد القائد قائلاً: "ما تسبقش الأحداث ... وحاتعرف كل شئ فى وقته ..."

أخذت الأفكار والتساؤلات تتزاحم فى رأس علوان الذى كان متشوقاً لمعرفة كل ما يتعلق بهذا السلاح المغلف بالغموض... واستمرت المحاضرة دون ان يكون فيها ما يشبع رغبته حيث تضمنت تعريفهم بالسلوك الواجب إتباعه أثناء تحركاتهم داخل المدرسة ، ثم سمح لهم بالإنصراف لمدة نصف الساعة يعودوا بعدها للتجمع فى نفس المكان بأرض الطابور ...

*****

وأثناء تجول رمضان خلال هذه الفترة من الراحة بين جنبات المدرسة أعجبه نظامها من مبانى حديثة، وطرقات وشوارع فسيحة، وهناجر عديدة تحتوى على معدات التدريب، هذا بالإضافة إلى أفنية التدريب التى تم تخطيطها وتجهيزها بدقة بالغة، كما شاهد ميس الطعام والكافيتيريا ... وقد أحيط كل ذلك بحدائق ومساحات خضراء واسعة بعثت فى نفسه شعوراً بالغبطة والسعادة، حيث

نكّرته بالحقول الخضراء المترامية فى بلدته ... وأستمر علوان فى جولته الإستطلاعية بالمدرسة حتى أقترب من شاطئ البحر فوقع نظره على أحد الإستراحات التى يخشى زملاؤه الجنود الأقدم فى الإقتراب منها، فلما سألهم عمن تخصه هذه الإستراحة ... أجابوا أنها تخص المقدم محمد سهير السجينى ...

*****

لم يدم الغموض الذى قابله علوان طويلاً فما لبث الطابور أن أصطف وأصطحب الملازم أول شريف هذه المجموعة من الجنود إلى المقدم السجينى الذى وقف أمامهم مرحباً وشارحاً .. فأخبرهم إنهم سيمكثوا معه بالمدرسة لمدة مائة يوم للتدريب على أحد أحدث أنواع الصواريخ بالقوات المسلحة المصرية والمضادة للطيران المنخفض .. وأنهم يعتبروا المجموعة الأولى من الجنود المصريين الذين يتم تدريبهم فى مصر على أيدى كوادر مصرية تلقت تدريبها على هذا الصاروخ بالإتحاد السوفيتى صانع هذه النوعية من الصواريخ ...

*****

وبدأ التدريب الشاق والدقيق بتقسيم هذه المجموعة التى تضم المائة جندى إلى مجموعات خمسة وشمل التدريب جزئيات ثلاث وهى:

* الدراسة الفنية على أجزاء المعدة، وخواصها، وكيفية تشغيلها...

* دراسة تكتيكية على تجهيز مواقع هذا السلاح، واعدادها للإشتباك ...

* الرماية وكل ما يتعلق بها ...

واستلزمت الدراسة التعرف على كل من طائراتنا وطائرات العدو الحربية منها والمدنية وتمييز أشكالها بالجو وعلى إرتفاعات مختلفة.

وكان اليوم الدراسى دسماً يبدأ بالمحاضرات النظرية التى يتم فيها التعرف على الصاورخ ومكوناته وميكانيكية تشغيله، ثم يلى ذلك بعد فترة راحة قصيرة تدريبات الرماية فى الميدان المجهز لذلك ... أما فى الفترة المسائية فكان يجتمع فيها الجنود بقاعات المطالعة مع ضباطهم المشرفين لمراجعة واستيعاب ما تمت

دراسته وكان علوان لشغفه وحبه لدراسته من أكثر الموجودين إنتباهاً وتركيزاً واستيعاباً ومحاولة لسبق المادة المكتوبة ...

*****

وانتهى الاسبوع الاول ونزل الجميع فى أجازة ٢٤ ساعة خميس وجمعة إلى ذويهم، وكانت الحفاوة بالغة بعلوان من أسرته التى أقامت وليمه له وحضر أقاربه وأصدقائه لزيارته والإطمئنان منه على سير الأحوال ، ولكنه كان حريصاً جداً فى حديثه فكان يطمئنهم بأن الإستعدادات والتدريبات جارية بكل همة دون الدخول فى أى تفاصيل تفيد من قريب أو بعيد عن نوعية سلاحه ودور هذا السلاح فى المعركة تطبيقاً لتعليمات الأمن والسرية خوفاً من تسريب أية معلومات بدون قصد إلى العدو فتفيده فى بناء خططه لإجهاض محاولات مصر الدؤوبة والتى تسابق فيها الزمن لبناء قواتها المسلحة، وكان الصاروخ الذى يتدرب عليه علوان محاطاً بسرية مضاعفة ليس فقط خارج الوحدات العسكرية بل أيضاً داخلها وليس أدل على ذلك من أن الجنود المتدربين كانوا لايعلمون شيئاً عن طبيعة هذا السلاح المجاور لهم بنفس المدرسة وغير مسموح للجنود المتدربين عليه بالتحدث عنه مع زملائهم من الأفرع الأخرى الذين لم يكونوا يعلموا شيئاً عن هذا السلاح.

وتوالت التدريبات إسبوعاً تلو الآخر والرماة المائة يـزدادوا معرفة بأسرار سلاحهم ففى الجانب النظـرى علمـوا كل مـا يتصـل بالقاذف والصاروخ ... أما على الجانب العملى فهاهم يتقدمون فـى التدريب على سرعة إعداد سلاحهم للإستعمال بزمن يقدر بـالثوانى فهم يتعاملون مع طائرة مقاتلـة تصل سـرعتها إلـى ضعـف سـرعة الصوت تمرق فوق الرؤوس كالسهم المنطلق على إرتفاع منخفـض مسببة ضوضاء شديدة تصم الآذان وتهز الأبدان حتى ولو لـم تلقـى بما تحمله من دمار .. لذلك فكـان يتحتـم علـى هـؤلاء الأبطـال أن يحتفظوا برباطة جأشـهم، وقـوة أعصـابهم مـع السـرعة الفائقـة فـى التعامل مع هذا الموت المحلق فوق الـرؤس فكل ثانيـة وجـزء مـن الثانية لها حسابها فى التعامل بهذا السـلاح ... وبـالفعل كـان أبنـاء مصر الشجعان عند حسن الظن بهم وضربوا أرقام قياسية شهد لهـا بعض الخبراء الروس قليلى العدد الذين كانوا يراقبوا سير التدريـب .. أمـا فـى حالـة إذا كـان المقذوف وبداخلـه الصـاروخ معـداً أمـام الرامى علـى حافـة الحفرة التـى كـان بداخلهـا فكـان زمـن الإعـداد لإطلاق الصاروخ يتقلص ...

لقـد كـان أداء الرجـال رائعـاً يدفعهـم إليـه عدالــة قضيتهـم والحمـاس والوطنيــة والغـيرة علــى اسـم بلدهـم وسـمعة قواتهـم المسلحة...

وعندما أوشكت هذه الفرقة التدريبية على الإنتهاء ومع بداية الاسبوع الأخير منها إنضمت إلى مجموعة الرماة مجموعات أخرى معاونة بدأت التدريب معهم ...

وفى نهاية الإسبوع الأخير جاء اليوم الذى انتظره جميع المتدربين لإجراء إختبارات إنتهاء الفرقة وتقييم الآداء يملؤهم الشوق إلى اللحاق بإخوانهم على الجبهة وبدأت رحلة الإختبارات النظرية تلتها الإختبارات العملية التى شهدت للمرة الأولى رماية حية بهذا الصاروخ ضد هدف طائر كان عبارة عن أحد صواريخ الكاتيوشا المنطلق من فوق ظهر احد السيارات المعدة لهذا الغرض وعلى ارتفاع مماثل للطيران المنخفض من ١-٢ كم ... وكانت نتائج الرماة جميعهم باهرة فى إصابتهم للهدف ... وسرعان ما أعلنت النتيجة النهائية بشقيها النظرى والعملى وتبوأ بطلنا علوان المركز الذى يستحقه وهو المركز الأول بين الرماة المائة مما يعكس عشقه لهذا السلاح الذى علق عليه آمال كبيرة فى إحراز النصر فى المعركة المرتقبة وفى حفل داخل المدرسة حضره قائدها والمقدم/ محمد سهير السجينى بالإضافة إلى رؤساء الأفرع الرئيسية حصل علوان على جائزة تقديرية من القادة الذين أثنوا على آدائه وآداء زملائه متمنيين لهم التوفيق فى المهام التى ستوكل إليهم على الجبهة التى حان وقت ذهابهم إليها.

وفى اليوم التالى لهذا الاحتفال كان علوان ضمن إحدى المجموعات والتى كان يقودها الرائد سيد عبد العاطى ورئيس عملياتها الرائد عبد الرحمن محمد ... وتحرك علوان مع فصيلته التى يقودها الملازم أول حسن إبراهيم فرج من الإسكندرية حتى مخازن مهمات الجيش بالقاهرة لتسلم معداتهم وأدواتهم وسيارتهم العسكرية ... ومن هناك توجهوا مباشرة بدون إبطاء إلى جبهة القتال تحت قيادة اللواء عبد المنعم واصل ...

وهكذا وخلال أقل من أربعة شهور تحول الشاب محمد رمضان عبده علوان من شخص مدنى يحيا حياة مدنية عادية إلى مقاتل محترف يتصف بالصلابة، والسرعة، وخفة الحركة، وهكذا خرج علوان من الدار لخط النار...



المشير / محمد على فهمى
قائد قوات الدفاع الجوى
فى أكتوبر ٧٣

الفصل الثالث

لدغة الحيـة

تعجب

علوان فى المرة الأولى التى سمع

فيها اسم " الحية " يطلق على سلاحه الجديد ..

ولكن دهشته بدأت تتلاشى عندما تكشفت امامه

اسرار هذا السلاح خلال التدريب عليه ..

لكنه تأكد من مدى صدق هذه التسمية عملياً ..

عندما تمكن من إسقاط طائرة إسرائيلية مقاتلة من

طراز الميراج أثناء حرب الإستنزاف ..

وعندها فقط تأكد علوان

أن لدغة صاروخه "الحية"..

قاتلة وسريعة

كانت مهمة شاقة تلك التى أوكلت إلى فصائل الصواريخ ولم تكن فى الواقع مهمة واحدة بل مجموعة مهام متعددة وهى صد هجمات العدو الجوى والتى يقوم بها بواسطة الطيران المنخفض ضد قواعد حائط الصواريخ الذى كانت مصر قد بدأت فى إنشاءه فى ذلك الوقت ، تلك القواعد الخرسانية والتى كان العدو ينتظر حتى إكتمال بناءها ثم يقوم بالإغارة عليها بواسطة قاذفاته قبل بدء تشغيلها فيحيلها إلى أنقاض راحت تحتها أرواح مئات المدنيين المصريين والعاملين فى مجال التشييد ...

كما أوكلت أيضاً إلى هذه الفصائل مهمة حماية القيادة من غارات طائرات العدو هذا بالإضافة إلى تأمين باقى القوات وذلك بعمل كمائن لطائرات العدو بالأماكن المتطرفة والتى يتوقع تسلل طائرات العدو منها ظناً منهم أنها خالية من القوات .. وقد إستلزم تحقيق تلك الأهداف التحرك الدائم والمستمر لذلك فكانت الفصيلة التى تضم علوان دائمة التنقل بمجموعاتها من نقطة إلى أخرى ..

وكثيراً ما كان هذا التحرك سريعاً كأن يطلب منهم بعد وصولهم إلى احد المناطق وتجهيز مواقعهم بها وانتشارهم فيها أن يتحركوا منها فى نفس اليوم إلى منطقة أخرى يتوقع مرور طائرات العدو منها ، وقد يستغرق الأمر فترة أطول فيستمروا فى مواقعهم اسبوعاً أو اكثر ، ولكن تلك التحركات كانت تتم فى طى السرية والكتمان للدرجة التى لا تمكن

المواقع الثابتة المجاورة لهم مثل قواعد الصواريخ من معرفة طبيعة تسليحهم ..

وتحت السماء المكشوفة بقيظ حرها صيفاً وزمهرير برودتها شتاءاً اراد علوان تسجيل مشاعره عن قسوة هذه الأيام ببعض أبيات الشعر أثناء تواجده داخل حفرته البرميلية بعنوان " اليوم السابق " فكتب يقول:

فى يومٍ ما

كنت أعيش مثل الآخرين

فى يوم شبابٍ مبتسم .. كنت ابتسم

وكنت أحيا حياةً صاخبةً

فى يومٍ ما

كنت أُحمل على الأعناق

كنت صديقاً وكان لى رفاق

فى يومٍ ما

رأيت الشمس تبتسم ..

وفجأة

فى اليوم التالى .. وجدتها مختفية تنتحب

لم أشعر بنفسى

لقد صرت غير ما كنت

اليوم السابق إنقضى

وحياتى فيه شئٌ مضى

فى اليوم التالى

عرفت كيف أعشق البندقية

وأتعطر برائحة البارود الفيحاء الزكية

وقعت فى غرام وشهوة الانتقام

الثورة .. الدم .. الفتك .. والإنتقام

حتى أصبح يومى السابق محض سراب ...

لم يطل إنتظار علوان كثيراً فى جحره ... فسرعان ما بعث إليه الله الصيد ليكون المحك الحقيقى لإختبار فاعلية سلاحه الذى أصبح جزءاً منه فهو الصديق الذى لا يفارقه طوال النهار والرفيق الذى يونس

وحدته بالليل، وكثيراً ما دعا ربه أن يتيح له فرصة التعامل مع طائرات العدو فى أقرب فرصة ممكنة ... وها قد حانت اللحظة.

فى أحد أيام الصيف شديدة القيظ عام ١٩٧٠ ولم يكن قد مضى عليه سوى عدة اسابيع منذ وصوله إلى الجبهة .. وبينما كان علوان يحتل فى ذلك اليوم مع زملاءه احد المواقع فوجئوا بقدوم طائرتين اسرائليتين من داخل سيناء وعبرتا قناة السويس فوق قواتنا، ولكنهما كانتا على إرتفاع كبير خارج مدى صواريخهم فملأ الغيظ صدور الجنود على تجرؤ هاتان الطائرتان ودخولها سمائنا بكل الغرور، وعدم الإكتراث ..

وتابعوهما بأنظارهم حتى أختفتا عن الأنظار ولكن علوان وإخوانه لم يتخلوا عن حرصهم وشدة إنتباههم، وما هى إلا لحظاتٍ قليلة حتى فوجئ الجميع بعودة هاتين الطائرتين من جهة الغرب داخل أجواءنا فى اتجاه سيناء ولكنهما فى هذه المرة علي ارتفاع منخفض .. وفى لمح البصر خطف علوان قاذفه الصاروخي من فوق حافة حفرته البرميلية وثبته فوق كتفه، وبنفس السرعة فعل زميله الرامى الآخر فى المجموعة إبن محافظة بنى سويف المقاتل ابراهيم عبده الغندور وبإشاره سريعة متفق عليها من يده تم التفاهم بين علوان وزميله على أن يتعامل علوان مع الطائرة الأمامية القريبة من موقعهما علي أن يحاول الآخر التعامل مع الطائرة الثانية إذا دخلت مرمى صاروخه .. وبكل العزم والإصرار، والحماس وبتطبيق كل ما تعلمه وتفوق فيه أثناء التدريبات قام علوان بإلتقاط الهدف داخل دائرتى التصويب، وبكل ثبات ورباطة جأش رغم ما

سببه مرور الطائرة المنخفض من صوت مزعج يصم الآذان وترتجف منه الأبدان ضغط بطلنا على تتك الإطلاق بالقاذف فأنطلق من داخله صاروخاً مخلفاً وراءه خيطاً أبيضاً ناصعاً من الدخان وأخذ الصاروخ يبتعد شيئاً فشيئاً فيتضائل حجمه وعندما كاد يختفى عن الأنظار وهو يلاحق الطائرة فوجئ كل من بموقع علوان، والمواقع الأخرى المجاورة بأنفجار شديد بالطائرة واشتعلت بها النار وتهاوت محترقة نحو الأرض.. مما أصاب طيار الطائرة الأخرى بصدمة وذهول لجهله بالسبب وراء تدمير طائرة زميله وهما اللذان لم يتعودوا على مثل ذلك من قبل فلم يكن يعكر صفو جولاتهم الإستطلاعية، أو تلك التى كانت تتم بغرض تدمير قواعد الصواريخ المصرية سوى بعض طلقات من المدفعية المضادة للطائرات المحدودة القدرة والفاعلية مع إمكانيات هذه النوعيات المتطورة من الطائرات .. على كل حال فقد فر الطيار الآخر مذعوراً مخلفاً وراءه مظاهرة عارمة من الفرح الذى عم نفوس زملاء علوان الذين أحاطوه لتقديم التهانى بالعناق والقبلات ..

ولم تكن فرحة علوان توصف فى ذلك اليوم عندما أصبحت ثقته مطلقة فى سلاحه 'الحية' ذات اللدغة القاتلة .

وعلى الفور تم اتصالاً تليفونياً بين قائد فصيلة علوان وقائد كتيبته لينقل له ما حدث، فتلقت الفصيلة بأكملها شكراً من القيادة التى حثتهم على المزيد من اليقظة، وبذل الجهد، ولكن لم يعلن داخل القوات

المسلحة المصرية شيئاً عن الكيفية او الوسيلة التى أُسقطت بها الطائرة المعادية ... حفاظاً على سرية هذا السلاح الحديث ..

ومع ميل الشمس للغروب جاءت الأوامر لفصيلة علوان للتحرك تحت ستر الليل من هذا الموقع إلى موقع آخر تحسباً لهجوم جوى يقوم به العدو ضد هذا الموقع .. وحتى تظل مفاجأة العدو مستمرة ..

*****

وأشرقت شمس يومٍ جديد على أبطال مصر وهم فى موقعهم الجديد فوق قمة إحدى التباب المرتفعة ... وكاد علوان يطير من الفرح عندما شاهد بعينيه الشريط الملاحى لقناة السويس بزرقة مياهه وتعداها ببصره إلى الضفة الشرقية من القناة حيث تمتد أرض سيناء الغالية تكسوها الكآبة والحزن لوقوعها أسيرة فى أيدى الأعداء ... بدت وكأنها تنادى أبنائها من جنود مصر:

" هلموا إلى ابنائى فكوا أسرى "

لقد شعر علوان وهو يرى القناة للمرة الاولى بالراحة والإطمئنان لإقترابه من الخطوط الأمامية للمواجهة ، فقد كانت كل خطوة يخطوها شرقاً تشعره باقتراب يوم التحرير ... وتأمل علوان من موقعه المرتفع قناة السويس وقد توسطها شريط طويل من السفن الغارقة ساكنة سكون الموت، وهى تلك السفن التى أحتجزتها العمليات العسكرية بين مصر واسرائيل يوم الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧ وهجرها بحارتها

وركابها .. وشعر علوان بالحسرة على الخسارة الفادحة التى سببها تعطل هذا الشريان الملاحى الهام على الاقتصاد المصرى ..

*****

وفى نهاية عام ١٩٧٠ صدم علوان بالوفاة المفاجئة للزعيم الراحل جمال عبد الناصر الذى وضع الشعب والجيش فيه ثقتهما للخروج بمصر من هذه المحنة .. ولكن الموت لم يمهله ... وكانت الفترة التالية لوفاته بالرغم من قصرها مليئة بالغموض بالنسبة للجنود الذين كانوا يرغبوا فى معرفة نوايا وأهداف القيادة السياسية الجديدة ... ولكن ما لبثت أن وضحت الرؤيا عندما أعلن الرئيس أنور السادات أن عام ١٩٧١ هو عام الحسم ..

وجاء هذا الإعلان متمشياً مع رغبة أبناء مصر فى محو عار الهزيمة بالدخول فى معركة شاملة يتم بها إستعادة الأرض .. لاسيما وأن الغررو كان قد عم قادة إسرائيل مما إنعكس على تصريحاتهم وتصرفاتهم وليس أدل على ذلك مما سجلوه كتابة باللغة العبرية والانجليزية على لوحة مثبتة فى أحد نقاطهم على خط بارليف وهى نقطة التينة بين الكاب وراس العش كان مضمونها :

سنة ٤٨ اخذنـــــا فلسطيـــــن

سنة ٥٦ اخذنا شـــــرم الشيـخ

سنة ٦٧ اخذنـــــــا سينــــاء

وسنة ٧٠ سوف ندخل القاهرة ..

ولكن عام ٧١ مر بأكمله بطيئاً متثاقلاً دون أن يشهد ذلك الحسم.. ولكن القوات المسلحة كانت ملتزمة ببرامجها التدريبية والإستعداد المستمر والدائم لخوض المعركة فى أى لحظة يُطلب منها ذلك ..

وكانت فصيلة علوان خلال تلك الفترة دائمة التنقل بين المواقع الأمامية فى نطاق الجيش الثالث ما بين كسفريت ، وفنارة ، وفايد، مع مشقة التدريبات والتنقلات المستمرة بالسلاح والعتاد وتجهيز المواقع إلا أن هذه المنطقة قد ملأت نفس علوان بشعور من الراحة لكثرة المزارع بها فهما هى عيناه تتلاقى مرة اخرى مع لون الزرع الأخضر الذى أفتقده... وأعطاه إحساساً انه يعيش فى قريته الريفية التى نشأ وترعرع فيها.

*****

وسلم عام ١٩٧١ جنود مصر الرابضين خلف اسلحتهم لعام جديد وهو عام ١٩٧٢ .. وانتهز العدو فرصة عدم وفاء القيادة السياسية فى مصر بعهدها من حسم القضية عسكرياً .. فأطلقوا العنان لأبواق دعايتهم فى محاولة لخفض الروح المعنوية بين أبناء مصر .. وكان من

ضمن ما أعلنه العدو فى ذلك الوقت أن مصر أمامها خمسون عاماً حتـى تستطيع خوض معركة ضد اسرائيل ..

وخلال تلك الفترة فى بداية عام ١٩٧١ إجتمع الرئيس السادات فى حديقة منزله على النيل بـالجيزة بقـادة القوات المسلحة وطلب منهم وضع خطة جديدة لهجوم شـامل .. فوضعت فـى البداية خطـة ولكنها عُدلت وأُجريت عليها بعض التطويرات نظـراً لموقف الـروس الرافض من تزويد مصر بأسلحة هجومية متطـورة، حتـى إستقرت علـى خطـة الهجوم التى نفذت فيما بعد.

*****

لم يـدم بقـاء علـوان مـع فصيلتـه طويـلاً فـى تلـك المنـاطق ذات الطبيعة الزراعية والتى شعر نحوها بالألفة حيث صدرت إليهم الأوامـر بـالتحرك لإحتـلال أحـد المواقـع .. وبكـل الهمـة والنشـاط جمـع الجنـود معداتهم فوق سياراتهم، وحملوا على ظهورهم الشدة الخفيفة.

وتحرك الركب هذه المرة إلى موقع فى غاية القسـوة مـن ناحيـة التضاريس داخل وادى يقع بين هضبتين مرتفعتين وهو ممر كـان يتوقـع إستخدام طائرات العدو الحربية له فى الإلتفاف خلف قواتنا .. وهناك تـم إنتشار جماعات الفصيلة على شكل كمائن خلال هذا الوادى .. والمـؤدى إلى خليج السويس، والذى أدت قسوة الطبيعة به من أرض جرداء خاليـة من أى مظهر من مظاهر الحياة، وتباين درجات الحرارة بها فهى شـديدة

القيظ نهاراً، قارصة البرودة ليلاً، بالإضافة إلى انتشار بعض جذوع الأشجار الجافة السامقة مع خلوها من الأغصان والأوراق والتى تقف كالأشباح إلى أن أُطلق عليه اسم "وادى الجن ".

وبكل صبر وايمان تعايش شباب مصر مع هذه الطبيعة القاسية وبكل اليقظة والإنتباه إستعدوا بصواريخهم ذات اللدغات القاتلة لحماية ظهر قواتهم ..

وأخذ عام ١٩٧٢ يمر شهراً تلو الآخر والجنود فى تدريبات وتحركات مستمرة لا يقطع رتابتها سوى الأجازات القصيرة التى كان يقضيها الجنود بين ذويهم فى القرى، والنجوع، ومدن الجمهورية المختلفة .. وكانت عودتهم إلى وحداتهم العسكرية فرصة طيبة لزملائهم الموجودين لعمل حفلات ترفيهية فبمجرد وصول زميلهم من أجازته ليلاً تقام حفلة عشاء يحضرها جميع الموجودين فى موقعه ويشاركوا فى تناول الطعام أو الزوادة التى أحضرها لهم زميلهم من خيرات الريف من الزفر (الدواجن المحمرة)، والفطير المشلتت، والجبن القديم والمش، والعسل الأسود ..

لقد أدت الفترة الطويلة التى قضاها الجنود مع بعضهم البعض إلى توثيق الصلات بينهم ومعرفة كل منهم بأحوال الآخر ومجريات حياته الإجتماعية والظروف الخاصة به وبكل افراد عائلته وكان إرتباط علوان وثيقاً برماة مجموعته مثل المقاتل فهمى عبد السميع من بلدة أبنوب الحمام من محافظة أسيوط، ومن نفس المحافظة أيضاً صديقه

المقاتل ابراهيم الغندور، والمقاتل محمد ناصف من بنى سويف والمقاتل كمال الدين خليل من الفيوم وكان أكثرهم ارتباطاً بعلوان حتى بعد إنتهاء خدمتهما العسكرية أما اكثرهم تأثيراً فى علوان فكان المقاتل صابر عبدالواحد أحد أفراد الحراسة والذى أُلحق عليهم مؤخراً فقد كان يبدو ما لو كان يحمل فوق كاهله حملاً ثقيلاً، وحاول زملاءه الجنود التخفيف عنه ومعرفة سر حزنه، وأخيراً فى إحدى المرات اثناء تناول طعام الغذاء أطلعهم على سر حزنه وألمه .. لقد كان احد الذين شهدوا نكسة ١٩٦٧ وكيف انتزعت أرض سيناء الغالية من أيديهم ... بل أكثر من ذلك إنه تعرض للأسر ولاقى معاملة سيئة من جنود العدو ... وهنا طلب منه الجنود أن يقص عليهم القصة من البداية ...

فحكى لهم صابر إنه كان ضمن أحد التشكيلات التى تم دفعها إلى سيناء فى ١٩٦٧ فى بداية تجنيده بالقوات المسلحة وفى صباح يوم الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ شاهد السماء وقد أمتلأت بالطائرات الحربية الإسرائيلية التى إنقضت تقصف كل شئ أمامها دون تفرقة بين أهداف عسكرية أو مدنية فى الوقت الذى تم تحييد وسائل الدفاع الجوى المصرية بناء على تعليمات سابقة تفيد أن طائرة وزير الحربية المشير عبد الحكيم عامر سوف تهبط فى أحد مطارات سيناء فى صبيحة ذلك اليوم .. ونتيجة لعدم وجود الغطاء الجوى الذى يحمى قواتنا فى سيناء لتدمير معظم طائراتنا وهى رابضة فى مطاراتها، فقد صدرت الأوامر من القيادة السياسية بسحب قواتنا من سيناء وحفاظاً عليها ولكن يبدو أنه لم تكن هناك خطط مسبقة لعملية الإنسحاب الذى لم يكن فى الحسبان لثقة

القيادتين السياسية والعسكرية فى قدراتها، فقد تم الانسحاب بلا تخطيط أشبه ما يكون بالعشوائية لذلك فقد كانت الفرصة مواتية لطائرات العدو الحربية فى ظل ذلك الارتبـك أن تغير علـى القوات المسلحة المنسحبة وتلحق بها أشد الخسائر .. وفقد الجندى صابر أثناء الإنسحاب كثيراً مـن زملاءه الذين قُتلوا داخل معداتهم الثقيلة، فحاول الفرار مع المجموعة الباقية سيراً على الأقدام بأسلحتهم الخفيفة ولكنهم فقدوا معرفة الإتجاه فـى صحراء سيناء المترامية فهاموا علىوجوههم فريسة للجوع والظمأ .. وبعد يومان من هذا الحال شاهدوا وادياً منخفضاً ملئ بالنخيل .. ولما كان الإرهاق والتعب قد أثر فيه أكثر من زملائـه فقد تأخر عن اللحاق بهم ثم هبطوا الوادى مسرعين متعثرين ليرتشفوا من مياه نبعه ويستظلوا من قيظ الصحراء فى هذه البقعة الرطبة ...

وعندما حاول صابر النهوض من عثرته ليهبط إلى الوادى سمع إزيز طائرتين هليكوبتر قادمتين من الإتجاه المضاد فتوارى خلف أحد التباب ورفع رأسه فى حذر فشاهد ما لم يكن يتمنى أن يراه لقد شاهد الطائرتان وقد توقفتا فوق الوادى وصوبتا طلقات مدفعيهما الرشاشان نحو الجنود المتهالكين فأردوهم قتلى وسط ضحكات مجندات شقراوات يجلسن خلف الرشاشات فى هاتين الطائرتين ..

وهام صابر على وجهه فى الصحراء بعد ان اصيب بصدمة شديدة .. ولم يدرى إلا ومدفع رشاش بأحدى السيارات العسكرية مصوباً نحو رأسه فرفع يديه لأعلى مستسلماً فعصبت عيناه وألقى بأرضية

السيارة العسكرية وسط أجساد بشرية تفوح منها رائحة الدماء السائلة من الجروح ..

وفى أحدى معسكرات تجميع الأسرى شاهد بعينيه صنوف العذاب للأسرى المصريين، حيث كان يلقى لهم على الارض غذاء عبارة عن بسكويت عفن، أو معلبات غذاء محفوظة غير صالحة مما أصاب الكثير منهم بالأمراض، وكان يتم تعذيب من يعترض على سوء المعاملة بالحبس فى ثلاجات باردة لعدة ايام يخرج منها السجين فى اشد حالات الضعف والانهاك وعدم القدرة على الرؤية وربما فقد حياته داخلها بخلاف الضرب، والسب، والركل بأقذع الشتائم لمصر ولرئيسها جمال عبد الناصر .. لم يقتصر الأمر عند هذا الحد بل تعداه لما هو أبشع فقد شاهد صابر أحد مذابح الأسرى فى هذا المعتقل حينما تم تجميع الأسرى فى فناء المعتقل وأمروا بالأنبطاح على الارض وأيديهم مقيدة خلف ظهورهم فى صفان طويلان بحيث تتقابل رؤسهم، وفوجئوا وهم على هذا الوضع بأحد الدبابات الإسرائيلية وقد سارت بجوارهم تهتز الارض تحت جنازيرها حتى وصلت لاول طابور الاسرى فسارت فوق اجساد الجنود التى انبثقت منها الدماء تروى الرمال التى غاصت أجسادهم فيها وسط صرخات مكتومة من الألم والفزع .. وعندما وصلت الدبابة فوق الاجساد الى منتصف الصف الطويل أُمرت بالكف عن هذه المهمة الوحشية، وتم إقتياد الجنود الذين بقوا على قيد الحياة الى حجراتهم المظلمة المغطاة بالمياه الراكدة العطنة .. وفى صباح اليوم التالى كتب الله النجاة لصابر وتمكن من الفرار اثناء إقتياده مع الناجين

من المذبحة الوحشية بواسطة أحد القطارات إلى داخل اسرائيل - فحدث اثناء سير القطار أن وجد سائقه ان الرمال قد غطت القضبان فى احد مناطق الكثبان الرملية المتحركة فتوقف عن السير وأمر اسرى بالنزول من القطار تحت حراسة مشددة لإزالة هذه الرمال وبعد عدة ساعات من العمل الشاق تمكن الأسرى المصريين من إنجاز مهمتهم بعد عناء شديد.. وحينئذ فوجئوا بوابل من رصاص رشاشات العدو تحصدهم بلا رحمة فتساقطوا على القضبان وحولها ...

وكان صابر حينئذ على الجانب الآخر المنخفض عن الطريق الحديدى فتساقطت فوقه جثث زملائه مدرجة فى دمائهم فتظاهر بالموت وقد تلطخت ملابسه وجبهته بالدماء وفقد حينئذ الوعى ولم يفق إلا على صوت بعض الأعراب من بدو سيناء الذين حضروا بدافع الشهامة والوطنية نحو ذويهم من أبناء وطنهم مصر بعد مرور القطار فوق جثث الشهداء ليقوموا بجمع جثث ضحايا هذه المذبحة البشعة ليواروهم التراب فى مقبرة جماعية .. كما ساعدوا صابر على النهوض واستضافوه عندهم لبعض الوقت حتى استرد بعض عافيته مع ما فى ذلك من خطورة عليهم إذا عثر العدو عليه اثناء الحملات التفتيشية للعثور على الجنود المصريين ...

وفى أحد الليالى المظلمة أصطحبه بعضهم إلى احد القوارب على شاطئ البحر المتوسط وكان قارباً للصيد أوصله تحت جنح الظلام إلى بورسعيد حيث سلم نفسه للقيادة المصرية ..

وما أن أتم صابر رواية قصته حتى لمعت أعين الجنود بدموع متحجرة حزناً على ما أصاب إخوانهم وتعاهدوا على أن يأخذوا بالثأر من عدوهم ..

توالت شهور عام ١٩٧٣ شهراً وراء شهر وفصيلة علوان من أبطال الدفاع الجوى أصحاب السلاح الذى يكتنفه الغموض والذى أُطلق عليه أسماء عديدة فى يقظة وانتباه دائم .. فى إطار إستعدادات القوات المسلحة الشاملة للأقتحام والعبور..

*****

أما على الجانب الآخر فكانت اسرائيل تواجه تلك الحشود المصرية بثقة واطمئنان فى خطوط دفاعاتها الصلبة، وأولها العائق المائى المتمثل فى قناة السويس والتى تم توصيلها بمواسير صلب متصلة بخزانات مدفونة تحت الأرض مليئة بمواد بترولية شديدة الإشتعال تطفو على سطح مياه القناة إذا حدث أى عبور من جانبى القوات المصرية على طول القناة فتحيل سطح القناة إلى كتلة ملتهبة من النيران، ويتم التحكم فى هذه الخزانات بالفتح والغلق من داخل حصونهم، وتمثل المانع الثانى فى خط بارليف وهو جبل صناعى من الرمال أنشأته قوات سلاح المهندسين الإسرائيلية بمشاركة الخبرة الأمريكية والألمانية الغربية على حافة قناة السويس وبزاوية ميل حادة بأرتفاع ما بين ٢٠ - ٣٠ متر ليكون سداً منيعاً أمام أى معدات مصرية ثقيلة أو خفيفة، أو حتى الجنود المترجلين أما المانع الثالث فكان مانع عسكرى وتمثل فى نقاط حصينة

التحكم فى هذه الخزانات بالفتح والغلق من داخل حصونهم، وتمثل المانع الثانى فى خط بارليف وهو جبل صناعى من الرمال أنشأته قوات سلاح المهندسين الإسرائيلية بمشاركة الخبرة الأمريكية والألمانية الغربية على حافة قناة السويس وبزاوية ميل حادة بأرتفاع ما بين ٢٠ - ٣٠ متر ليكون سدا منيعا أمام أى معدات مصرية ثقيلة أو خفيفة، أو حتى الجنود المترجلين أما المانع الثالث فكان مانع عسكرى وتمثل فى نقاط حصينة خلال خط بارليف بطول قناة السويس الممتدة من بورسعيد شمالا وحتى بور توفيق بالسويس جنوبا وقد تم تشييد هذه الحصون التى تحتوى على ملاجئ للجنود، ومخازن للذخيرة، ومرابض للأسلحة من جميع الأعيرة من قطع ضخمة من الصخور وتدعيم أسقفها المكونة من عدة طبقات بقضبان السكك الحديدية لكى تتحمل قصف المدفعية، واضخم قنابل الطائرات دون أن تتأثر أو يشعر من بداخلها بأى خطر ، كما أن هذه الحصون قد زودت بالمؤن والذخيرة التى تكفى من بداخلها لشهور بالإضافة إلى إنارتها بالكهرباء ووجود وسائل الإتصال التليفونية بداخل اسرائيل مع وسائل الترفيه وقد شغلت هذه الحصون الخمسة والثلاثون بقوات لواء مشاه ميكانيكى يطلق عليه لواء القدس المدعم بمدفعية ثقيلة، ودعمت المسافات بين كل حصن والآخر بدبابات على مصاطب معدة لها بحيث لا تزيد المسافة بين الدبابة والأخرى عن كيلو ونصف الكيلو متر لتحقيق اقواس نيران متداخلة وتمثل خط الدفاع التالى فى فرقة مدرعة تتألف من ثلاث ألويه يضم كل منها حوالى مائة دبابة على بعد حوالى ٣٠ كيلو متر من خط القناة .. وليس هذا فحسب بل كان هناك

جيش نظامى محدود ومزود بكافة وسائل الحماية واحدث الاسلحة بالإضافة إلى جيش إحتياطى كبير العدد وهو ما يطلق عليه اسم " كل الشعب جيش" وذلك كي يمكنهم التغلب على التفوق العددى الكبير للجيوش العربية المحيطة بهم. ويستلزم ذلك بإسلوب متطور لتعبئة جميع القادرين من افراد الشعب كقوّات إحتياط فى وقت مناسب من خلال جهاز مخابرات ذى كفاءة عالية[1] غالبيته من الوحدات النظامية واتفق على ألا ترتبط التعبئة باكتشاف نوايا الخصم، ولكن تتم طبقاً لأعمال الخصم على أرض الواقع ، ويتم تامين عملية التعبئة من لحظة إعلانها وحتى وصول الوحدات المعبأة إلى أوضاعها القتالية حتى لا يحدث تدخل مباشر من الخصم لإفشالها ... وأُسندت مهمة الحماية والتأمين لسلاح الطيران " ذراع إسرائيل الطويلة " الذى يتكون معظمه من قوات نظامية يخصص لها النصيب الأكبر من ميزانية وزارة الدفاع "حوالى ٥٢٪ من الميزانية " وقد خصصت مهمتان رئيسيتان لسلاح الطيران:

الاولى : حماية سماء الدولة بمنع طائرات الخصم من مهاجمة مخازن الطوارئ وحماية وحدات الأحتياط أثناء تحركها نحو الجبهة ومنع مهاجمة مركز التجمعات السكنية أثناء توجه الأفراد منها إلى مخازن الطوارئ .

الثانية : هى المعاونة بالنيران للوحدات النظامية التى تنشغل بصد هجوم الخصم فى المرحلة الاولى من الدفاع حتى وصول تشكيلات

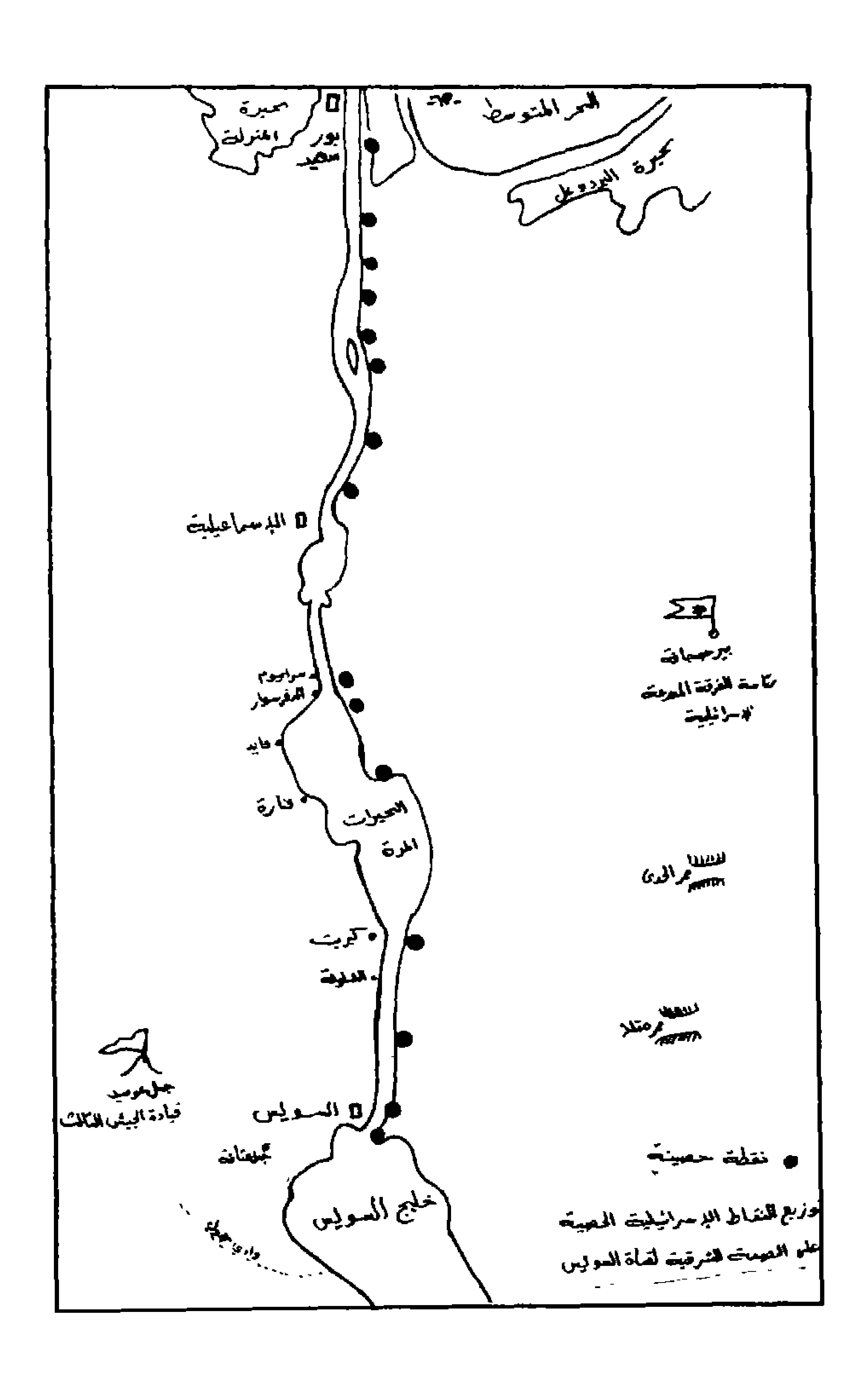
---

[1] أثبت الذكاء المصرى تفوقه عليه

الإحتياط ... وكان يحق لقائد الحصن من حصون خط بارليف طلب الطلعات الجوية التى يحددها لمعاونته فى صد الهجوم عليه .

ويكون هدف الجيش الإسرائيلى الدفاع المستميت عن حدوده بالقوات النظامية أولاً بمساعدة سلاح الطيران ... ثم نقل المعركة بعد ذلك إلى أرض الخصم بعد وصول قوات الإحتياط.

*****



توزيع النقاط الإسرائيلية الحصينة على الضفة الشرقية لقناة السويس



علوان "صائد الطائرات"

الى اليسار وبجواره المقاتل كمال مصطفى ابن محافظة الفيوم

ورفيق الكفاح فى الجيش اثناء احدى الأجازات الميدانية

الفصل الرابع

إنفجار البركان

لم

يصدق علوان واخوانه الجنود

آذانهم وهم يستمعون من قائدهم صباح

يوم السبت العاشر من رمضان - السادس من اكتوبر

أن الأوامر قد صدرت من القيادة العليا بالقتال بعد

ظهر ذلك اليوم بعد إشتياق طال لمدة ٦ سنوات منذ

هزيمة الخامس من يونيو ١٩٦٧ ...

وفى تمام الساعة الثانية من بعد

ظهر ذلك اليوم ...

إنفجر البركان

لم تختلف استعدادات رجال صواريخ الإستيرلا مع إقتراب موعد المعركة عن ذى قبل ... فهم دائماً على أعلى درجات اليقظة والإستعداد ... مصغين بآذانهم ... محملقين بأبصارهم فى صفحة السماء الصافية فوق رؤسهم ...

ومر يوم **الخميس ٤ أكتوبر** عليهم وهم فى نقاطهم القتالية فوق جبل عوبيد بجوار قيادة الجيش الثالث الميدانى كالمعتاد من أول ضوء النهار وحتى أخر ضوء بعد غروب الشمس ... ثم تعود تلك المجموعات إلى قيادة فصيلتهم للمبيت، وإستكمال الأدوات والمعدات ... ثم تتلقى تعليمات اليوم الجديد.

وفى فجر **الجمعة ٥ أكتوبر** والمجموعات جاهزة بأسلحتها للتحرك إلى مواقعها كالمعتاد ... لم يصلها أى معلومات خاصة بالإنتقال إلى مكان معين فظلوا بقيادة الكتيبة فى إنتظار التعليمات حتى آذان الجمعة ... فصلى الجنود الجمعة ... وبعد الصلاة لاحظ علوان وزملاءه مشاورات ومداولات غير عادية بين قائد الكتيبة ومرؤسيه من ضباط الكتيبة ... واستمر بقاؤهم فى أماكنهم حتى عصر ذلك اليوم ... وبعد العصر تحركت تلك المجموعات من قيادة الكتيبة إلى قيادة اللواء الذى يتبعونه على بعد حوالى ١٥ كم من موقع الكتيبة ... وهناك صدرت لهم تعليمات بإستكمال جميع المعدات، والمهمات بما فى ذلك أجهزة الأتصال، وسيارات الركوب حتى آخر ضوء من هذا اليوم ...

وحينئذ بدأت الاحداث سريعة ومتلاحقة ... حيث صدرت تعليمات الى فصيلة الحية التى يتبعها علوان بالإلحاق على إحدى الوحدات للإستعداد للتحرك معها بهدف حمايتها من هجوم الطيران المنخفض للعدو ... ولكن لم يعلم أحد الجنود بوجهة هذة الوحدة ... وعند منتصف تلك الليلة كانت جميع الإستعدادات قد أتخذت و الجميع على أهبة الإستعداد للتحرك فوق السيارات ...

و قبيل فجر يوم **السبت ٦ أكتوبر** تحرك هذا الركب شمالاً واستمر التحرك حتى أشرق الصباح فشاهد علوان ورفاقه من فوق ظهر السيارات تحركات ضخمة لمختلف وحدات الجيش وبصورة غير عادية الأمر الذى أوحى إليهم إنهم مقبلين على أمر هام وخطير ... وأثناء التحرك كانت أطقم الصواريخ منتشرة وموزعة بدقة حول لواء الصواريخ الذى يقومون بحمايته من جميع الجهات بصورة تسمح لهم بالإشتباك من وضع حركة من فوق ظهور سياراتهم ضد أى هجوم لطائرات العدو المنخفضة ...

وما لبث هذا الركب المبارك أن استقر بمنطقة سرابيوم على الضفة الغربية للقناة فى مواجهة القطاع الأوسط من سيناء ...

وعند الساعة الحادية عشر صباحاً من ذلك اليوم تلقى رجال الأستيرلا أولى التعليمات الغير مباشرة عن قرب إندلاع شرارة معركة الكرامة ... حيث أخبرهم قائد فصيلتهم أنه فى تمام الساعة الثانية من بعد ظهر ذلك اليوم سوف تقوم تشكيلات من قواتنا الجوية بعبور قناة

السويس للقيام بمهام قتالية داخل سيناء ضد القوات الاسرائيلية ... لذلك فقد طلب منهم قائدهم أن يكونوا فى قمة اليقظة والإنتباه فى درجة إستعداد قصوى لأنه ربما إستتبع ذلك رد من طيران العدو بهجمات مكثفة داخل حدودنا ... وما كان الجنود يستمعون إلى تعليمات قائدهم حتى تصايحوا فى حماس:

"لا يا أفندم ... دى موش عمليات محدودة ... دى حرب أكيده"

فرد القائد:

"موش هو ده اللى انتم منتظرينه ؟"

فاجاب الجنود بحماس:

" ايوه يا فندم هو ده اللى احنا عايزينه ... "

وبدأت تسرى فى نفوس الجنود روح جديدة مختلفة ... سعادة مشوبة بالرهبة .. والترقب ..

وفى تمام الساعة الثانية من بعد ظهر ذلك اليوم .. سمع علوان من فوق ظهر السيارة التى يستقلها مع أفراد مجموعته أزيز طائرات قادمة من الغرب على إرتفاع منخفض تكاد تلامس قمم أشجار هذه المنطقة الزراعية .. وبسهولة أمكن لرجال الصواريخ الأستريلا تمييز هذه

بطائرات ومعرفة أنواعها عندما مرقت من فوق رؤسهم فى اتجاه القناة فى تشكيلات منوعة وبأعداد كبيرة متلاحقة.

أما عن الشعور الذى إنتاب هؤلاء الجنود عند مشاهدتهم لطائرتنا وهى تعبر بكل الثقة والإعتزاز والقوة إلى داخل سيناء فيعجز القلم مهما أُوتى من بلاغة وفصاحة عن وصفه ... لقد كان مزيجاً من الشعور بالفخر والعزة والكرامة والكبرياء غمر الجنود المصريين فى هذا القطاع والقطاعات الأخرى ... لقد أمد هذا الشعور هؤلاء الجنود بأحساس غريب من القوة الجبارة التى تمكنهم من فعل المعجزات لقد شعر علوان وقتها إن لديه المقدرة على تنفيذ أى مهام صعبة أو شاقة يكلف بها ... لقد شعر أنه يستطيع ان يحطم الصخر ... ان يحفر الأرض ... أن يشق البحر ... أن يطير فى الفضاء لو طلب منه ذلك ...

وتلى عبور طائراتنا للقناة قصف مدفعى عنيف من مدفعيتنا الميدانية بكفاءة كبيرة ضد نقاط خط بارليف وتجمعات العدو بداخل سيناء... وحينئذ أدرك علوان ورفاقه وهم يقفون على أهبة الإستعداد على بعد حوالى ٣ كيلومترات من شاطئ القناة أن الحرب قد بدأت ...

ومرت عليهم الساعات ولأول مرة سريعة متتابعة وهم فى شوق إلى العبور وإن كان الساتر الرملى الذى إقامته قواتنا من قبل على ضفة القناة الغربية ليستر تحركات قواتنا فى مواجهة خط بارليف الحصين قد أعاق مشاهدة علوان ورفاقه لموجات العبور والإقتحام من اخوانه جنود المشاة المصريين فى قواربهم المطاطية والمجنزرات البرمائية إلا ان

صوت هؤلاء الجنود وهتافهم بصيحة "الله اكبر ... الله اكبر" كان يتردد صداها فى الفضاء وكأنها بينهم على الرغم من أنهم يبعدون عنهم حوالى ٤ كيلومترات ...

ومع مغيب شمس ذلك اليوم كان الحماس والشوق قد ملأ نفوس رجال صواريخ الاستريلا وأخذوا يلحون على قادتهم فى الإسراع بالعبور الى سيناء الحبيبة ... وطمأنهم قادتهم بإنهم فى إنتظار الأوامر بالعبور فى أية لحظة ...

وخيم الليل على المكان ... ولكن فى هذه الليلة كان مختلفاً ... فها هى الحرب قد بدأت والعبور قد تم ... والأعلام المصرية وقد ارتفعت فوق حصون العدو بخط بارليف الذى ترتفع منه ألسنة اللهب وسحب الدخان وتسمع أصوات الأسلحة الأوتوماتيكية وتبادل القصف المدفعى، بينها صرخات مكتومة للقتلى والجرحى.

وكان إنفجار البركان الذى ظل يغلى لمدة ٦ سنوات منذ هزيمة يونيو ١٩٦٧ وحتى هذا اليوم السادس من اكتوبر ١٩٧٣ فصب حممه وجام غضبه على العدو الإسرائيلى الذى تصور من فرط غروره أنه لن تقوم للجيش المصرى قائمة ... ولكنه نسى أو تناسى تاريخ هذا الجيش المجيد وهذا الشعب العريق ... الذى يظهر معدنه الأصيل عند المحن والأزمات ... والذى يمد يده دائماً بالخير لإخوانه، وأصدقائه فى موقف شهامة وبطولة نابعة من عراقته وأصالته.

وكانت قوات الجيش الثالث الميدانى المعدة للعبور والتى تشغل مجموعة بطلنا علوان احد تشكيلاتها الفرعية من مهامها الرئيسية إستغلال الضربة الجوية المفاجئة التى شنتها المقاتلات المصرية، والتمهيد المدفعي بالقصف المركز للمدفعية المصرية والذى استمر لمدة ٥٣ دقيقة لاندفاع قوات الجيش لاقتحام القناة والعبور إلى الشرق قبل آخر ضوء، والإستيلاء على نقاط العدو الحصينة، وتدمير قواته بها، وعمل رأس كوبرى بعمق من ٨-١٠ كيلومترات، والتصدى لهجمات إحتياطات العدو المدرع ...

ولم تتمثل الصعوبات التى واجهت تلك القوات فى المانع المائى، والمانع الترابى المتمثل فى خط بارليف والذى كان يرتفع مباشرة على حافة القناة بأرتفاع مبنى مكون من ٨ طوابق مع ما يشمله من تجهيزات هندسية وأسلاك شائكة، وحقول ألغام ، ونقاط حصينة مزودة بمدفعية ثقيلة ورشاشات مختلفة الأعيرة، بالإضافة إلى الدبابات والمجنزرات ...

بل كانت هناك عوائق أخرى تتمثل فى انخفاض المياه بالقناة عند حافة الشاطئ بحوالى المتران، كما أن الشاطئان كان بهما انحدار وتدبيش مما يعوق المركبات البرمائية من النزول او الصعود عليها إلا بعد عمل تجهيزات معينة تستغرق كثيراً من الوقت تحت قصف جوى ومدفعى من قوات العدو، كما أن القناة لتعرضها لظاهرة المد والجزر وما يتبعه من إختلاف منسوب المياه الذى يبلغ إنخفاضه فى القطاع الجنوبى من القناة المخصص لعبور قوات الجيش الثالث إلى متران عدة

مرات خلال اليوم الواحد كان له تأثير كبير على الأعمال الفنية المتواصلة بإقامة المعديات ... هذا بالإضافة إلى سرعة تيار الماء بالقناة خاصة فى القطاع الجنوبى حيث تصل سرعة التيار فيه إلى ٩٠ متر/دقيقة ويتغير إتجاه التيار كل ٦ ساعات ... وقد أدى ذلك إلى عدم وصول الموجات الأولى من المشاه المستخدمين للقوارب المطاطية إلى النقاط المحددة للوصل إليها بالدقة المطلوبة فى الوقت المحدد طبقاً للخطة حيث استغرق عبور القناة التى يتراوح عرضها ما بين ١٨٠ الى ٢٢٠ متراً نصف الساعة بدلاً من ١٥ دقيقة الأمر الذى كان سيضاعف فرص عبور القوات، والتى كان محدداً لعبورها ٦ ساعات الأمر الذى استدعى قائد الجيش اللواء عبد المنعم واصل إلى استبدال تلك القوارب المائية بالعربات البرمائية.

كما كان لهذه الصعوبات اثرها ايضاً فى تأخر الإنتهاء من مد المعابر فوق القناة لبعض الوقت عن الجيش الثانى الذى إنتهى من مد معابره طبقاً للتوقيتات المحددة وهنا تجدر الإشارة إلى بطولات وتضحيات رجال سلاح المهندسين خاصة فى نطاق الجيش الثالث الذين كُلفوا بمد المعابر لتسمح بعبور المدرعات المصرية لتغطية ظهر جنود المشاة الذين سبقوهم إلى داخل سيناء فى مواجهة إحتياطات مدرعات العدو.

لقد كان هؤلاء الأبطال من جنود سلاح المهندسين يقومون بأعمالهم من ربط وصلات المعابر وإعدادها وسط قصف مباشر

ومستميت من العدو لمنعهم من إتمام عملهم الأمر الذى أدى إلى إستشهاد أعداد كبيرة منهم اثناء تأدية عملهم وعلى رأسهم الشهيد اللواء احمد حمدى قائد لواء الكبارى الذى استشهد فوق احد المعابر وهو يشرف على تركيبه عند منطقة الدفرسوار ...

لقد كان أداءاً رائعاً من جنود سلاح المهندسين ايضاً الذين كانوا يبذلون جهوداً جبارة فى عمل فتحات فى الساتر الترابى لخط بارليف تلك التى ستثبت عندها أطراف هذه المعابر، واستخدموا فى ذلك مضخات المياه والخراطيم، فقد كانت الفتحة الواحدة تستلزم تجريف الف متر مكعب من الاتربة التى تحولت بفعل المياه إلى طين بنى اللون كسى وجوه وملابس هؤلاء الجنود الشجعان الذين ظلوا فى صبر وجلد حوالى ٦ ساعات يوجهوا أسلحتهم من خراطيم المياه ذات الضغط العالى المسحوبة من مياه القناة نحو ذلك الجبل الرملى تحت قصف المدافع وإغارة طيران العدو، وتطاير الشظايا والأدخنة ورائحة البارود، وهم مكسوين بكميات ضخمة من الطين حتى أصبح الواحد منهم كتمثال من الصلصال وقد نجحوا فى إنجاز مهامهم.

وكان من ضمن العقبات أيضاً التى أخرت عبور بعض وحدات الجيش الثالث الميدانى ذلك القصف العنيف والمركز والمستمر من مزاغل الدبابات الاسرائيلية بالنقطة الحصينة رقم ١٤٩ ضد المعبر المخصص للعبور أمام الفرقة ١٩ لمنع إستخدامه أو إصلاحه، وبالتالى تعطيل مرور المدرعات المصرية من اللحاق بقوات المشاه الذين سبقوهم

، واستمر هذا القصف ضد المعبر حتى صباح يوم ٧ اكتوبر فكان كلما تم اصلاح المعبر وتركيبه يتم تدميره من جديد، وهنا ظهرت روح البطولة والفداء حينما تقدم الرائد محمد زرد لقيادته يعلن استعداده لوقف نيران العدو واسكات أسلحته ولو أدى الامر أن يضحى بنفسه ... وبالفعل استطاع البطل بعملية انتحارية وقف نيران العدو عندما هاجم تلك النقطة الحصينة من الخلف ودمرها واستشهد ... وقد علق اللواء عبد المنعم واصل قائد الجيش الثالث على ذلك بقوله:

"فى رأيى الشخصى أنه لولا العملية الإنتحارية التى قام بها الرائد الشهيد محمد زرد فإنه لم يكن ممكنا إصلاح أو تركيب الكوبرى لتعبر عليه الدبابات بعد أن تأخر عبورها عن الموعد المحدد فى الخطة..."

وبدأت الدبابات تعاود التدفق من الضفة الغربية إلى الضفة الشرقية لتحتل مواقعها المحددة مسبقاً، ولتقدم الدعم لقوة المشاة التى سبقتها.

*****

نعود مرة أخرى لبطلنا علوان وزملائه يوم **الاحد** ٧ **أكتوبر** يستقبلون بسعادة غامرة يوماً جديداً من أيام النصر يملؤهم الشوق والحماس لتأدية دورهم الذى تدربوا السنوات الطوال على خير وجه ... لقد هل عليهم فجر ذلك اليوم ولم ترى أعينهم النوم طيلة الليلة السابقة

بالرغم من أن دورهم ينحصر فى التعامل مع طائرات العدو من أول ضوء حتى آخر ضوء وغير مكلفين بالتعامل مع الطيران الليلى إن وجد .. غير أن القصف المدفعي العنيف وإشتباكات رجال المشاة بأسلحتهم الأوتوماتيكية وراء خط بارليف وحول بعض حصونه، وإستعدادهم الكامل للتحرك فى اية لحظة طرد الرغبة فى النوم من أعينهم وكأنهم ساهرين فى ليلة العيد من فرط سعادتهم.

*****

لم يطل إنتظار الرجال طويلاً حيث صدرت الأوامر فجر ذلك اليوم بالتحرك صوب قناة السويس أمام المعبر الذى شيده رجال سلاح المهندسين فى قطاع الجيش الثانى ومع تنفس ضوء الصباح وجد الرجال أنفسهم وجهاً لوجه مع مياه القنال فوق سياراتهم فى إنتظار دورهم فى العبور فوق الكوبرى ... لقد كانت لحظة إجلال وسكون شمل المكان عندما أستعدت سيارة علوان للعبور فوق المعبر الذى مُد فى قوة وثبات فوق صفحة القناة ... وما هى إلا لحظات قليلة وكانت الشمس بقرصها الذهبى تشرق على أرض سيناء على الجانب الآخر من المعبر... وعلى أول المعبر وجد علوان وإخوانه ضابطاً برتبة عقيد واقفاً فى ثبات على أحد جانبى المعبر وقد خط المشيب شعر رأسه وبصوت أبوى حنون يملؤه التفاؤل القى تحية الصباح على الجنود قائلاً:

"صباح الخير يا رجاله .. توكلوا على الله"

وسارت السيارة تتبعها باقى السيارات بيسر وسهولة حتى نهاية المعبر الذى كان يقابله فتحة ضخمة بخط بارليف ولكن ارضيتها مرتفعة عن مستوى المعبر ... وهناك كان يقف ضابط آخر برتبة عميد يشبه الاول فى صفاته وكان مثله يملئ وجه البشر والوضاءة وقال لسائق السيارة:

" قول يارب وإعتمد على الله..الأول والغرز الثقيل "

فرد السائق :

" تمام يا افندم "

فابدره العميد قائلا :

" قول بسم الله ... توكلت على الله "

فرد السائق قائلاً :

" بسم الله ... توكلت على الله "

وحينئذٍ شعر كل من بالسيارة أنها تصعد هذا المطلع الصعب بسهولة اكثر مما كانت تسير على ارض مستوية وكأن هناك أيدى خفية تدفعها إلى الأمام ..

وبمعاونة رجال الشرطة العسكرية بدأت السيارات تنتشر خارج فتحة خط بارليف وتوقفت فى إنتظار التحرك طبقاً للخطة .. وبمجرد توقفها قفز رجال الإستريلا من فوقها نحو أرض سيناء فسجدوا لله شكراً ولامست جباههم وشفاههم حبات الرمل الغالية ..

وبعد هذا الوفاء من الأبناء طلب منهم قائد فصيلتهم سرعة التواجد على ظهر سياراتهم للتعامل مع أى هدف معادى لحين الوصول إلى نقاط التمركز ... وبالفعل تحرك لواء الصواريخ فى حراسة رجال الإستريلا بعمق ٥ كيلومترات فى داخل سيناء وانتشرت وحداته طبقاً لما هو مخطط لها فى حين إتخذت فصيلة علوان تشكيلها القتالى لحماية احد وحدات هذا اللواء .. وعلى بعد حوالى ٣ كيلومترات منه وقامت اللودرات بحفر ملاجئ للسيارات وتغطيتها بشباك التمويه فى حين قام الجنود بحفر الحفر البرميلية لأنفسهم ولصناديق الذخيرة والمعدات وكان موقع علوان يبعد حوالى ٣ كيلومترات إلى الجنوب الشرقى من تشكيلات هذا اللواء وعلى بعد حوالى كيلو متر واحد من أحد محطات الكهرباء التى كان العدو قد أنشأها وإلى اليمين من الطريق الأسفلتى وشريط السكة الحديد القديم والممتد من الشمال إلى الجنوب بمجازاة قناة

السويس وعلى بعد ٥ كيلومترات منها كما أن موقعه كان لايبعد كثيراً شمال منطقة الكثبان الرملية الواصلة الى البحيرات المرة ..

نترك بطلنا علوان فى حفرته البرميلية ممسكا بمعدته الصاروخية على حافة الحفرة وعيناه شاخصتان فى السماء فى جميع الإتجاهات وكان شوقه ولهفته على التعامل مع طائرات العدو لنلقى نظرة على احد ملاحم البطولة.

*****

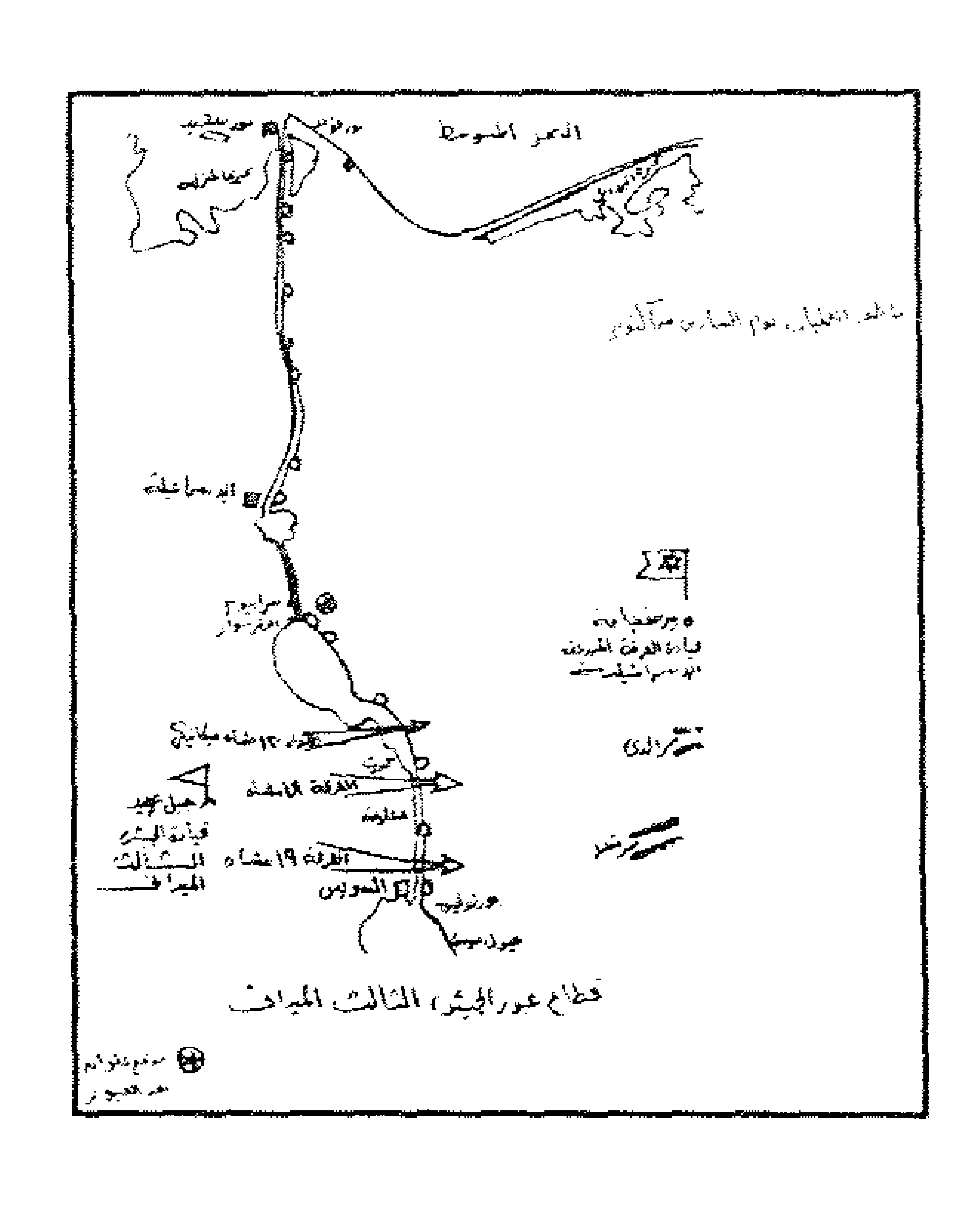


السادات صاحب القرار الشجاع



اللواء عبدالمنعم واصل

قائد الجيش الثالث



موقع علوان بعد العبور

الفصل الخامس

سقوط الأسطورة

إنـهـا

قصة سقوط واحد من أقوى
حصون خط بارليف على أيدي رجال قواتنا
المسلحة من رجال الجيش الثالث ... نرويها على لسان
قائد الموقع الإسرائيلي كما جاءت بمذكراتـــــه ...

حينما أضطر للإستسلام بعد أن فشلت قيادته فى
إنقاذه هو و من بقى من رجاله من بين براثن القوات
المصرية.. و كل ما أستطاعوا تقديمه من نصيحة
أثناء آخر إتصال تليفونى بينهم أن قالوا له:

قل للأولاد أن يبتسموا ويرفعوا
رؤسهم عندما يظهروا
فى التلفزيون المصرى

أما إستسلام النقطه الحصينة فى لسان بورتوفيق فتعتبر بحق إحدى بطولات أبناء الجيش الثالث ... حيث قامت قيادة الجيش الثالث الميدانى بتكليف كتيبة صاعقة بالإغارة على النقطة الحصينة فى لسان بورتوفيق و تدميرها و إحتلال اللسان ... و كان هذا الموقع يبدو من بعيد أشبه بجبل صغير ... كان يضم ٦ دشم أقامها الإسرائيليون على طول اللسان الممتد ما يزيد على ٥ كيلومترات وعرضه يتراوح ما بين ٧٥ - ٢٠٠ متراً ...

وقد حصن هذا الموقع جيداً حيث كانت جدران الدشم تتكون من عربات السكك الحديدية المليئة بالأسمنت المسلح وفلنكات السكك الحديدية ويعلوها ردم رملى يرتفع لما يزيد عن ثلاثة امتار بحيث لا تؤثر فيه أشد أنواع القذائف ... وكانت هذه الدشم الستة متصلة فيما بينها بأنفاق سفلية بحيث إذا سقطت أحداها يفر أفرادها إلى باقى الدشم بعد أن يغلقوا خلفهم أبواباً فولاذية صلبة ... كان الموقع يضم مواد غذائية وذخائر مكدسة بما يسمح للقوة الإسرائيلية التى تحصنت به والمكونة من ٤٢ فرداً أن تستبطع المقاومة شهوراً عديدة ... كما كانت إمدادات المياه تصل إلى داخل الموقع عن طريق خط مواسير مدفونة فى الرمال وغير مرئية أما عن تسليح الموقع فكان يضم خمس دبابات أمريكية من طراز باتون ، ومدفعية ثقيلة، ورشاشات ثقيلة ومتوسطة بالإضافة إلى التسليح الشخصى للأفراد ... إلى جانب طبيب وحجرة مجهزة بالمعدات الطبية... وأجهزة إتصال بالقيادة والقواعد الجوية لطلب طلعات

طيران... وقد قام قائد كتيبة الصاعقة بدفع إحدى سراياه لمهاجمة تلك النقطة الحصينة ...

وقامت تلك السرية من قوات الصاعقة المصرية بقيادة المقاتل زغلول بحصار ذلك الموقع منذ يوم السادس من اكتوبر والضغط على العدو بالداخل عدة أيام حتى استسلم تماماً فى النهاية ...

وسندع قصة إستسلام هذا الموقع يرويها لنا قائد الموقع الإسرائيلى نفسه والمدعو "شالومو أردنست" وذلك من خلال مذكراته التى جاء فيها:

السبت ٦ **اكتوبر** ١٩٧٣:

على الرغم من إننا تلقينا رسالة من قيادة الأركان عن احتمال قيام المصريين بهجوم على مواقعنا إلا أننا إستبعدنا ذلك تماماً ... فنحن بقوتنا الهائلة قد أدخلنا اليأس إلى قلوبهم ... وهم كما أكدت لنا قيادتنا أضعف من ان يفكروا فى دخول حرب جديدة ضدنا ... مع ذلك فإننا رفعنا درجة الإستعداد ... وكان لدينا فى موقع "ميزح"[١] كل ما يطمئننا .. فحتى لو فكر المصريون فى الهجوم فإن موقعنا من أقوى مواقع خط بارليف خاصة بعد الإضافات الهائلة التى دُعم بها الموقع أثر الهجوم الذى شنته عليه قوات مصرية أثناء ما يسمى بحرب الإستنزاف ...

---

[١] الاسم العبرى لموقع لسان بور توفيق.

ونتيجة لهذا الإطمئنان حاول قائد الموقع الذى توليت القيادة عقب مصرعه (بعد عصر اليوم) وهو الملازم اول دافيد ترجمان الإتصال فى الساعة الواحدة والربع بخطيبته فى شرم الشيخ ... وعلى فكرة كانت هى ايضاً زميله لنا فى جيش الدفاع برتبة ملازم ... وقبل أن يتفق دافيد مع خطيبته على اللقاء فى اللد بمجرد حصوله على أجازه هوالآخر قطعت المكالمة واستشاط غضباً واخذنا نمزح معه دون أن يبتسم ... وفى الساعة الواحدة والنصف سمع دافيد صوتاً قادماً من بعيد، ولم يكن هذا هو الصوت المألوف لعامل التليفون فى مركز أم خشيب ... ومرة أخرى استشاط دافيد غضباً وطلب من المتحدث أن يدع الخط إلى أن يكمل مكالمته مع خطيبته ولكن المتحدث أجاب ببرود أنه يتكلم من القيادة العامة ليدلى بإشارة عاجلة إلى قائد الموقع ...

= ورد دافيد بحنق: أى موقع؟

- "موقع ميزح".

= حسناً أننى القائد.

- نعم يا سيدى ... إشارة من قائد الأركان يحتمل ان يقوم المصريون بـ ..."

وهنا انقطع الإتصال قبل أن تنتهى الإشارة، وعاد دافيد إلى الدق على جهاز التليفون، ولكن الجهاز اللعين بدا ميتاً، ولم يتحقق للإتصال أن يتم قبل مضى ثلث الساعة ...

إلى ان كانت الساعة الثانية وخمس دقائق إذ سمعنا أزيزاً مكتوماً، وأصوات إنفجارات قريبة، إن طائرات السوخوى المصرية تقذف سيلاً من القنابل، وفى نفس الوقت تقريباً تساقطت قذائف المدفعية الحادة ... لا أفهم شيئاً حتى الآن ... دمرت قذائف المدفعية المصرية وسائل الإتصال ... ومواقع المراقبة ...

ترى هل يكون ما حدث مجرد حادث فردى أكبر بعض الشئ من الحوادث السابقة ...؟

أتمنى ذلك ...

إستمر القذف المصرى ساعتين ... رأيت ٤ دبابات من دباباتنا تدخل موقعنا ... يا للكارثة ... لقد اصيبت ثلاث دبابات منها وسقط أطقمها ما بين قتلى وجرحى ...

قرب الغروب رأينا عشرة قوارب مليئة بالجنود المصريين تعبر بهم القناة ... أصدرت اوامرى بضربهم بالمدفع الرشاش الثقيل، لا فائدة فقد أصيب هو الآخر ... فتح رجال الموقع نيران مدافع عوزى ... تمكنا

من إصابة بعض المشاة ... لكن موجة الهجوم وصلت إلى الساتر، وسمعناهم وهم يتصايحون فى ثورة ...

"سنذبحكم"[1] :

ولماذا لم تعمل مواسير النابالم ...؟

لغز آخر ...

نسف المشاة المصريون من حملة قاذفات اللهب خزان الوقود فى الموقع ... بدأ القتال يتبادل بالقنابل اليدوية ... سقط أول قتيل منا ...

لاحظت أن القوات المصرية تندفع ناحية الشرق .. لكنهم تركوا بعض المشاة الذين بدأوا فى حصار الموقع ...

هبط الليل ... أسوأ ليل فى حياتى ... القذائف تدك الموقع ... الجنود المصريون يستخدمون قاذفات الصواريخ ... سقط القتيل الثانى والثالث... لقد حوصر الموقع تماماً وتم عزله من جميع الإتجاهات ... توالى سقوط القتلى والجرحى وكان من بينهم القائد دافيد ...

أصبحت مسئولاً عن القيادة فى الموقع ... ما زلت متأكداً أن قوات جيش الدفاع سوف تأتى لفك الحصار المصرى وتنقذنا أنى متأكد من ذلك تماماً.

---

[1] كناية عن التكبير بصيحة الله اكبر.

الأحد ٧ اكتوبر :

المنظر مخيف ... هبط الليل ... القذائف تدك الحصن وراح الجنود المصريون يستخدمون قاذفات الصواريخ، والقنابل اليدوية التى أخذت تنفجر داخل الدشم ... لم يعد هناك شك فى أن الموقع أصبح محاصراً ، ومقطوعاً عن بقية العالم ... الحالة المعنوية منهارة ..نفذت حقن المورفين، وزجاجات البلازما كما تناقصت كمية الأربطة الموجودة...

مازلت واثقاً أن طيراننا ومدرعاتنا ستصل لنجدتنا، وهذا ما أكده لى رفاقى ...

*****

الاثنين ٨ اكتوبر

فى مطلع فجر هذا اليوم ... تلقينا صدمة أخرى مروعة ... لقد كان المشهد الذى بدا تحت انظارنا مثيراً للفزع واليأس ... إن ما اعتدنا رؤيته قبل ذلك كمنطقة صفراء فاتحة الرمال أصبحت داكنة من الآليات المصرية ... لم نعد نشاهد الرمل ... كانت الارض كلها مغطاة بالعربات المصرية ... وغير بعيد عن السور المحيط بالموقع كانت تمر الدبابات المصرية بأعداد كثيرة ... كانت هناك سيارات نقل، ومدافع،

وصواريخ، كل ذلك كان يتحرك ويجرى في حين أننا كنا بين طرفى الكماشة ...

أخذت مئات القذائف تتفجر فوق الموقع، والدشم استطاع جنود المشاة المصريين ان يصلوا إلى فتحات الموقع فأخذوا يلقون القنابل اليدوية داخل الساحات التى تحمى السور، ووجهت الدبابات مدافعها إلى مداخل الموقع، فراحت بقية دباباتنا التابعة للموقع تطلق نيرانها، واثناء الإشتباك أخذ جندى اللاسلكى يصرخ طالباً النجدة ...

*****

يبدو أن المصريين لم يبدأوا هجومهم الفعلى نحونا حتى الآن... لكن افراد الموقع ... من تبقى منهم ... كانوا يعانون من الإرهاق والخوف ... استطعت أن أستخدم نظارتى الميدانية لأعرف ما يدور حول الموقع ... ولكن رأيت ما لم أصدقه ... لقد كان العلم المصرى يرفرف فوق الدشمة المجاورة ... هبط قلبى وشعرت بالعار والإنهيار... خاصة وأن عدد الذين يصلحون للقتال من رجالى فى هذا اليوم لا يزيد على عشرة ... وكان علىَّ أن أواصل رفع روحهم المنهارة وأخذت اقول لهم:

"لسوف تمر الازمة .. وسيأتى رجالنا .. انهم قادمون فقليلاً من الصبر"... وأيدنى المضمد "يمرحئيل يسرائيلى" ...

فقال هو الآخر:

" إننى متأكد إنهم سيأتون لانقاذنا .."

*****

الاربعاء ١٠ أكتوبر

*****

الخميس ١١ أكتوبر

*****

الجمعة ١٢ أكتوبر

*****

لم نتوقف عن طلب النجدة ... الأمل فى وصولها يتلاشى ... الموقف بالغ السوء .. لم تعد تجدى تنقلاتى بين مواقع الحصن .. فالجنود والضباط ينهارون لحظة بعد أخرى ..

قال أحدهم:

- " إن الذخيرة تنفذ "

الهجمات المتقطعة للمشاة المصريين تطرد النوم من عيوننا ...

تلقينا إشارة من قيادتنا تقول:

"اذا لم نستطيع إرسال النجدة إليكم ... فعليكم بالإستسلام..."

= لقد تأكد ما توقعته ..

نجح طبيب الموقع " ناحوم فربين " في علاج جندي اصيب بجروح بالغة نتيجة إصابته ببازوكا فتحطمت يداه، ودخلت الشظايا في جميع أعضاء جسده، وحتى في عنقه ... وبعد مرور ساعات قليلة أخذ يهذي وفقد وعيه ... قام الطبيب ناحوم بقطع زنده ... وكان يقاوم إرتجاف يديه وهو يفعل ذلك ...

إن وضع الجرحى لا يطاق ... صورة أول جريح يسقط من بيننا في يوم السبت الماضي مازالت ماثلة أمامي .. وفي لحظة هدوء حكى لي الطبيب ناحوم كيف فشل في علاج الجريح فقال لي:

" لم اسيطر على النزيف ... وشعرت انه سينتهي بين يدى ... وقد مات بالفعل بعد ٦ ساعات تقريباً ... إن هذه هي المرة الأولى التي يموت فيها شخص وأنا المسئول الوحيد عنه ... وعندما تحققت من وفاته... جلست في مكان ما من المستوصف داخل الموقع وأنا غير قادر على القيام بأى عمل ... وبقيت هكذا لمدة عشرة دقائق ... إلى أن يبدأ وصول جرحى آخرين .. وكان لزاماً عليَّ أن أسارع إلى إسعافهم ... "

هكذا أخذ يحدثنى الطبيب ناحوم إلى أن دوت فرقعة هائلة ...
فقلت لنفسى:

" بدأوا الضرب مرة أخرى ..."

*****

صباح **السبت ١٣ أكتوبر**

مر أسبوع على حصار المصريين لنا ... أصبحنا مجموعة منهكة تماماً ... قمت بالإتصال لاسلكياً بالقيادة الجنوبية ...

ودار بيننا الحوار التالى:

القيادة : شالومو ... هل يمكنك الصمود ؟

أنا : مستحيل ... مستحيل ... ليس هناك فائدة ...
إننى سأسلم.

القيادة : اسمعنى جيداً ... إذا استطعت ان تصمد قليلاً فسوف نبذل كل جهدنا لنخرجكم من هناك ... ربما...

أنا : لقد قلت لك إنه لم تعد هناك أيَّة فائدة ...

القيادة : حسناً ... أرجو أن نراك قريباً ... هل تريد شيئاً؟

أنا : نعم ... أن اذهب إلى بيتى.

القيادة : هل تعرف شيئاً عن وضعنا ...؟

أنا : لا ... لا.

القيادة : بالنسبة لموضوع الإستسلام فقد تم عمل اللازم عندما تظهرون في التليفزيون المصرى ... قل للأولاد ان يرفعوا رؤسهم ويبتسموا ...

أنا : لقد وعدونا بتطبيق إتفاقية جنيف ... سوف أُخلى القتلى والجرحى.

القيادة : ألا تريد أن تضيف شيئاً ...؟

أنا : ابلغ أسرتى ... وقل لزملائى أن يسهروا على أبى وأمى.

إلى هذا الحد إنتهى دورى فى الاتصال بالقيادة ... وتركت ضابط الإتصال فى الحصن " عموس سيجل " ليتلو عليهم قائمة الموجودين وذكر لهم أسماء الجرحى، وحالة كل واحد منهم ... ثم قرأ بعد ذلك قائمة القتلى ... وكان الذى يتلقى منه هذه القوائم فى القيادة يدعى ماركو... ولما كان يعرف بعض القتلى الذين ذكر عموس أسمائهم فقد انفجر باكياً وهو يصيح فى الجهاز:

" اصمدوا ... اصمدوا "

قمت بالإستعدادات الأخيرة للإستسلام ... وقام الطبيب ناحوم بتغيير الضمادات للجرحى ... وأقترحت أنا على رجالى أن يحلقوا ذقونهم ويغيروا ملابسهم لكن معظمهم لم يعبأ بما أقول ... وأمرت أحد الجنود أن يحمل معه كتاب التوراة الموجود فى الحصن ... وكان قد قُدم لنا هدية من يهود رومانيا ...

بعد ذلك خرجت ... ومعى الطبيب ناحوم لإجراء المفاوضات مع الضابط المصرى الذى جاء معه صحفيون ومصورى تليفزيون من جنسيات مختلفة، وطلبت إذناً بجمع جثث القتلى ... فوافق على الفور... وعدت إلى الرجال فى الحصن ... وتم نقل الجرحى فى القارب الأول وبعد ذلك نقلت بقية المجموعة ... بينما عدسات الصحفيين وكاميرات التليفزيون تتفرس ملامحنا .. . وبرغم الخوف .. من الأسر إلا أننى أحسست بالقدرة على التنفس جيداً ..."

*****

ونترك قائد موقع ميزرح بين أيدى قواتنا ينعم هو وزملائه بشهامة المصريين فى ظل سماحة الإسلام الذى يحض على حسن معاملة الأسرى والمحافظة على العهود والمواثيق ... لننقل ما قاله " جرانفيل واتس "... مراسل رويتر وأحد عشرات الصحفيين الذين شاهدوا إستسلام هذا الحصن ...

فيقول " جرانفيل " فى تقريره:

"إستسلم اليوم آخر موقع اسرائيلى حصين على الضفة الشرقية لقناة السويس ... وتم أسر ٣٧ شخصاً من القوات الإسرائيلية وبدأ عليهم الإرهاق ، وكانوا ملطخين بالأوحال حتى حين تم اقتيادهم بزوارق التجديف عبر القناة إلى الضفة الغربية ... وكان أول إسرائيليين يتم نقلهما بالقوارب قائد الموقع ويدعى شالومو اردنست ويبلغ من العمر ٢٣ عاماً برتبة ليفتانت، واما الثانى فكان طبيب الوحدة ... وقد واجه الضابطان الشابان على ضفة القناة عدداً من المصريين الذين أكدوا لهما أنهما سيلقيان المعاملة المناسبة وفقاً لإتفاقية جنيف ... إلا أن القائد المصرى المسئول عن عملية التسليم لم يرقه منظر الضابط الإسرائيلى الذى يمشى متمهلاً فقال له بالانجليزية:

" قف ... انتباه "

وعلى الفور امتثل القائد الإسرائيلى، ورفع يده محيياً العلم المصرى ... هذا وعندما دخلت الموقع استطعت أن أرى معدات وأجهزة راديو، وعدسات مكبرة، وخوذات، وكانت هناك صناديق كثيرة مليئة بالذخيرة ... وقد كان واضحاً أن الإسرائيليين لم يستسلموا لنفاذ الذخيرة..."

*****

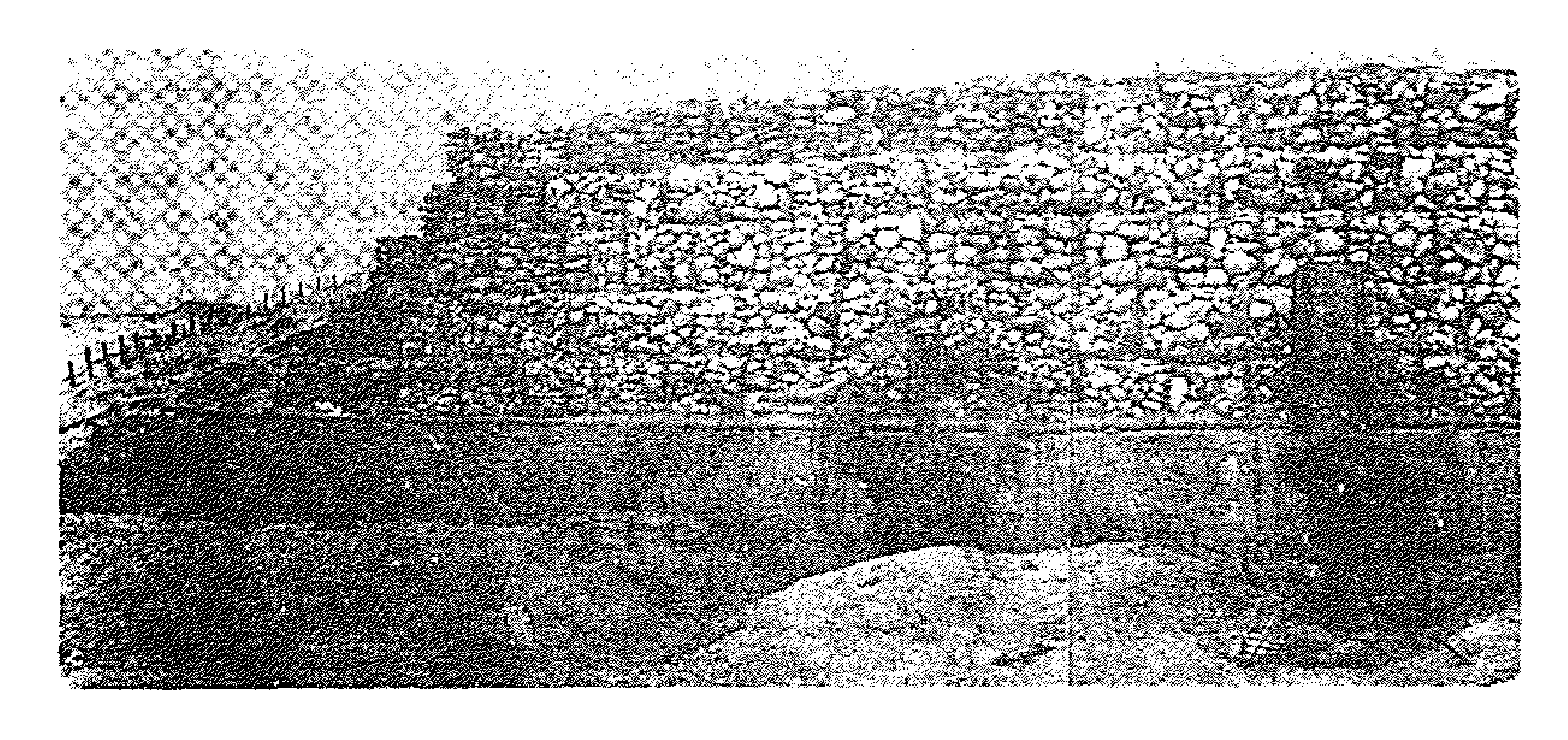
إلى هنا تنتهى رواية قائد الموقع الإسرائيلى وتقرير مراسل وكالة رويتر الخاصة بإستلام الحصن ... وهى غنية عن التعليق ...

فى حين نرجئ باقى مذكرات " شالومو أردنست " إلى جزء آخر من الكتاب عندما نتحدث عن الأثر النفسى الذى خلفته هذه الحرب على الإسرائيليين.

*****



القائد الاسرائيلى يرفع يده بالتحية للقائد المصرى



أحد حصون خط بارليف

مرارة الهزيمة



موشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى



أسرى اسرائيل

الفصل السادس

قاهر الفانتوم

استنطاع

علوان بتوفيق الله له ...

ثم ايمانه بعدالة قضيته ...

ورغبته فى المساهمة فى صنع النصر لمصر ...

وبفضل جهده السابق فى التدريب الشاق وإحراز نتائج طيبة أثناءه أن يضرب رقماً قياسياً فى إسقاط وإصابة طائرات العدو حيث تمكن من تدمير وإسقاط ٧ طائرات وإصابة طائرتين أُخرتين من طائرات العدو الحربية ... وأسر طيارين إسرائيليين وكانت كل طائرة من تلك التى أسقطها علوان أو أصابها لها قصة ...

إنها قصص بطولة

قاهر الفانتوم

نعود مرة أخرى إلى بطلنا علوان حيث تركناه فى قمة السعادة والفخر فى موقعه لحراسة أحدى الوحدات ... وعلى عمق حوالى ٦ كيلومترات من شط القناة بعمق سيناء وبالتحديد فى ظهر يوم **السابع من أكتوبر** عام ١٩٧٣ واقفاً فى تحفز وصاروخه على كتفه ... مستعداً للتعامل مع طائرات العدو التى تظهر بين الحين والآخر فى سماء المعركة ولكن إمَّا على إرتفاعات عالِيه أو خارج مدى صواريخه وفى الحفر المجاورة له يقف باقى أفراد طاقمه ... الرامى الآخر وجنود المراقبة الجوية ... وجنود الإتصالات التليفونية والجنود المكلفين بحراستهم .. وقف الجميع يراقبوا تحركات المدرعات المصرية أمامهم الى الشرق داخل سيناء ... وهم يتعمقون أكثر وأكثر ... والصحراء المترامية أمامهم لا تسكن ولا تهدأ من إنفجارات قذائف العدو هنا وهناك... أخذ علوان يدعو الله وهو يرى طيران العدو خارج مجال صواريخه وتتعامل معه وحدات أخرى أن يرسل له صيده ليتمكن من المشاركة فى هذه السيمفونية الرائعة ... وما هى إلا لحظات قليلة واستجاب الله لدعاءه ففى حوالى الساعة الواحدة من ظهر ذلك اليوم شاهد علوان وأفراد مجموعته طائرة اسرائيلية من طراز ميراج الفرنسية الصنع قادمة من الشرق فى إتجاه القناة على إرتفاع منخفض لتجنب رصد أجهزة الرادار بمواقع الصواريخ المضادة للطيران المرتفع لها ... أثناء مهمتها التى كانت على ما يبدو تدمير المعبر المصرى فوق القناة لمنع الامدادات عن القوات المصرية وقطع خطوط الإتصال بين شرق وغرب القناة ... وجاءت الطائرة لمصيرها المحتوم عندما مرت فوق

تلك الحفرة البرميلية البسيطة التى لا يتعدى عمقها او قطرها المتر ... ولكنها تخفى بداخلها مارداً يحمل لها الدمار والهلاك .. لم يرهب شكل الطائرة بأجنحتها العريضة المثلثة ... ولا صوتها الهادر كقصف الرعد ولا ما تحمله تحت اجنحتها من صواريخ ودانات مختلفة الاشكال والاوزان قلوب الرجال ... وقابلها علوان بإبتسامة ساخرة فما هى بالنسبة له سوى صيد ثمين جاء ليلقى حتفه ... وتوكل علوان على الله ... وهو يلتقط الطائرة على أجهزة تنشينه حين مرورها فوق موقعه ودار معها برشاقة وسرعة عالية ... وبكل ثبات ورباطة جأش وجه قاذفه الصاروخى نحو منتصف بطنها وفى لمح البصر ضغط على تتك القاذف فانطلق صاروخه الفضى اللون وكأنه هو الآخر فى إشتياق كبير لهذا الصيد ... وما هى إلا لحظات قليلة من تتبع الصاروخ بخيط الدخان الأبيض المنبعث من خلفه للحرارة المنبعثة من عوادم محرك الطائرة إلا وكان قد اصطدم بها ففجرها فى الجو تفجيراً مريعاً ساعد عليه ما كانت تحمله من قذائف ودانات كانت معدة للإسقاط فوق المواقع المصرية ... وتهاوت الطائرة مشتعلة مثل كتلة من اللهب ...

لم يستغرق هذا الأمر غير ثوانٍ معدودة من اللحظة التى تم فيها اكتشاف الهدف وحتى إسقاطه... فلم يملك رجال موقع علوان أنفسهم من الفرح والسعادة بما أنجزه زميلهم فتقافزوا فرحاً فى حفرهم فهذه هى الطائرة الاولى التى أُسقطت بواسطة موقعهم منذ ان وطأت اقدامهم ارض سيناء الغالية فى صباح ذلك اليوم ... وتعالى تهليلهم وهتافهم ... الله اكبر ... الله اكبر مبروك يا علوان ... ربنا معاك ... وقام زميليه

بالموقع المقاتل إبرهيم عبده غندور وكمال الدين مصطفى خليل بفتح علب العصائر ... التى معهم إبتهاجاً بإسقاط هذه الطائرة ... كما قام الجندى محمد ابو الحسن المسئول عن الإتصالات بالإتصال بموقع قائد الفصيلة النقيب حسن والذى يبعد عنهم حوالى الكيلو والنصف كيلو لإخباره بما تم إنجازه ولكن كان رد قائد الفصيلة مفاجأة له ... حيث دار بينهم الحوار التالى:

جندى الاشارة: تمام يا فندم ... تم اسقاط ...

قائد الفصيلة: قول لعلوان مبروك على الطيارة اللى سقطت وعقبال الثانية.

جندى الإشارة: فعلاً يا فندم علوان هو اللى اطلق الصاروخ اللى أسقط هذه الطائرة ...

قائد الفصيلة : خليكم منتبهين ... وربنا معاكم ...

كان قائد الفصيلة بموقعه بين رجاله وبحكم خبرته بالمستوى المهارى للرماة ومتابعته لما يدور بأرض المعركة على دراية بمجريات الأمور ...

ومر اليوم مسرعاً على الرجال ... وهم فى أعلى حالاتهم المعنوية يؤدون واجبهم فى مراقبة سماء المعركة ... ويشاهدون ما يدور امامهم على ساحة القتال وبالذات مدفعية الميدان المصرية الثقيلة التى

تبعد عنهم حوالى الكيلومتر فى العمق والتى لا تهدأ ... ولا تكل ... من إرسال قذائفها داخل سيناء نحو تجمعات العدو الغير منظورة بالعين المجردة من موقع علوان ورفاقه ...

أسدل الليل أستاره على جنود الإستريلا فى موقع علوان الذين بدأوا فى جمع معداتهم وانتقلوا إلى مكان التجمع بقيادة الفصيلة وهناك بدأ الجنود يروون ملاحظاتهم على يوم القتال الأول بالنسبة لهم داخل سيناء... ويتلقون التعليمات من قائدهم ...

وبالرغم من ظروف القتال المحيطة بهم من قذائف متطايرة وانفجارات متلاحقة هنا وهناكِ فى ميدان المعركةِ جعلهم رغم المخاطر التى تحيط بهم أشبه بمن يشاهدون عرضاً للألعاب النارية.

ومر الليل مسرعاً مثلما مر النهار مسرعاً ... ولم يغمض للجنود جفن ولم ترى أعينهم النوم لليلة الثالثة على التوالى ... ومع ذلك لم يشعر الرجال بإرهاق أو تعب ... وكانوا على أتم الإستعداد للإشتباك الليلى مع العدو لو استدعى الأمر حتى ولو بأسلحتهم الشخصية البسيطة... فالجميع على أتم الإستعداد للتضحية وبذل المزيد من الجهد حتى ولو كان خارج نطاقهم.

*****

وأهل فجر يوم **الثامن من أكتوبر** واستعد علوان ورفاقه للذهاب الى مواقع اليوم السابق ليكونوا فى تمام الإستعداد لمجابهة

إغارات العدو الجوية التى يشنها كما هى العادة فى أول وآخر ضوء ... وبالفعل كان رجال الإستريلا جاهزين قبل أول ضوء الإشتباك مع طائرات العدو فى موقعهم يملؤهم الحماس والفخر لاسيما وقد لاحظوا ان مدفعية الميدان المصرية قد تقدمت إلى مواقع اكثر عمقاً فى الشرق ... ولكن مر هذا اليوم دون اشتباك مع طائرات العدو ...

*****

وقبيل إنتصاف النهار يوم **التاسع من أكتوبر** فوجئ رجال صواريخ الإستريلا بسرب من طائرات سكاى هوك الاسرائيلية قادمة فى اتجاه موقعهم ولكنها هذه المرة لم تكن قادمة من جهة الشرق حيث قوات العدو بل من الغرب من جهة القوات المصرية ... لم يضيع علوان وقتاً فى التفكير فى السبب الذى جاءت بسببه هذه الطائرات من الغرب... فالطائرات داخل قطاعه ... وها هى على الإرتفاع المثالى لصاروخه ومن خبرته ومعرفته بأنواع الطائرات فقد تأكد أنها طائرات معادية محملة بالدمار والهلاك وأكد تقديره السليم ما سمعه من صياح جنود المراقبة الجوية بموقعه "طائرات معادية ... طائرات معادية".

وبكل الدقة والثبات إلتقط علوان الهدف فأنطلق صاروخه فى اتجاه مؤخرة الهدف ... واستمر الجميع فى مراقبة الصاروخ الفضى وهو ينطلق بسرعة اكبر من سرعة الطائرة ... وأخذت المسافة تتناقص بينه وبين الطائرة إلى أن اصطدم بها ... ولكن الطائرة لم تسقط فى الحال بل شوهدت والنيران مشتعلة بها والدخان الأسود الداكن يتبعها إلى

أن سقطت على بعد حوالى ٣ كيلومتر من موقع علوان جهة الشرق فإنفجرت بمجرد اصطدامها بالارض وفرح كل من بالموقع بأداء علوان وتميزه فى التعامل مع طائرات العدو وتعالت صيحات الفرح والتشجيع من زملاءه ...

ومضى عليهم اليوم فى مواقعهم يتابعون ويشاهدون مجريات المعركة .. وكل موقع من المواقع المصرية على طول الجبهة يؤدى دوره والمهام المكلف بها كلٌ فى حدود اختصاصاته وقدراته ويتواصل الليل بالنهار والجميع فى قمة اليقظة والإنتباه ...

تنفس صباح يوم جديد من أيام إنتصارات الجيش المصرى وأشرقت الشمس الذهبية عاكسة أشعتها على رمال سيناء فأضفت عليها بريقا وتألقا وكأنها تشع سعادة فرحة بعودتها لأبنائها ... وها هم الأبناء من رجال الصاروخ المحمول على الكتف ... يقفون بصلابة وعزيمة فى مطلع يوم جديد لتأدية مهامهم و هى الأشتباك و تدمير طيران العدو المنخفض ... وقد كان هذا اليوم الأربعاء **العاشر من أكتوبر** ٧٣ يوماً مشحوناً وحافلاً حيث إتضحت نية العدو فى تدمير مواقع الصواريخ بهذا القطاع بعد الخسائر الكبيرة التى منى بها سلاحه الجوى خلال الأيام السابقة من المعركة حيث تحطمت غارتة الجوية سواء تلك التى كانت على إرتفاع عالى بواسطة الصواريخ المضادة للطيران المرتفع .. أو تلك التى كانت على إرتفاع منخفض .. لذلك فقد كثف طيران العدو من غاراته فى ذلك اليوم بهدف تدمير مواقع الصواريخ أياً كان نوعها ...

ومن أجل تحقيق هذا الغرض فقد لجأ العدو إلى حيلة جديـــدة .. و هى : أن تقوم طائراته القاذفة بعبور القناة من فوق منطقة البحـــيرات المرة و هى عبارة عن مسطح مائى عريض يصل عرضه حوالـــى ١٥ كم ثم يلتف عائداً فوق قواتنا شمال البحيرات يهاجمها من جهة الغـــرب بهدف الخداع والتضليل ... و فى حوالى الساعة الحادية عشرة صباحـــاً فوجئ علوان و زملائه بثلاث طائرات فـــانتوم إســـرائيلية قادمـــة مـــن الجنوب الغربى فى إتجاه موقعهم على إرتفاع منخفض ... وكانت تلـــك هى المرة الأولى التى يتعامل فيها علوان مع الفانتوم والتى كانت فى ذلك الحين هى سيدة المعارك الجوية وأخطر الطائرات على الجانب المصرى أو الإسرائيلى لإمكانياتها المتقدمة من حيث التسليح والمناورة والكفـــاءة القتالية، أحدث صوت الطائرات وهى على هذا الارتفاع المنخفض دويـــاً مفزعاً ... ولكن قلوب أبناء مصر كانت أصلب من الصخر ... فبـــادر علوان بإطلاق صاروخه على أقرب هذه الطائرات من حفرته البرميليـــة الصغيرة .. وما هى إلا ثوان معدودة حتى كانت هذه الطائرة الضخمـــة كتلة ملتهبة وما لبثت أن تهاوت نحو الإرض ولكن ما هذا الذى ينطلـــق من الكابينة نحو الفضاء ..؟ ... إنه أحد طيارى الفانتوم استطاع القفـــز منها بمقعده المعد لذلك ... وها هو يهبط بمظلته بالقرب من موقع علوان .. وجد علوان نفسه يقفز خارج حفرته فى اتجاه المظلة التى تقترب نحو الأرض .. ولحق بعلوان زميلين له وهما المقاتل كمال مصطفـــى ابـــن محافظة الفيوم، والمقاتل محمد الناصف ابن محافظـــة بنـــى ســـويف .. وشهر الثلاثة أسلحتهم الشخصية وهى مسدســـات ٩ مللـــى وأحـــاطوا

بالطيار الذى سقط فوق الأرض، وغطته مظلته بعد أن سحبته على الأرض بضعة أمتار ... لم يبدى الطيار أى مقاومة لجنود مصر... وبمجرد أن شاهدهم رفع يديه مستسلماً ... فجرده الجنود من أسلحته الشخصية وكانت عبارة عن مسدس فى جراب حول وسطه وخنجرين فى غمدهما بالساق اليمنى والساق اليسرى ... قام علوان بتقييد يديه بحبل أحضروه خصيصاً لهذا الغرض وأقتضاه إلى موقعهم ... وما لبث قائد فصيلة علوان أن حضر و تسلمه منه ... ثم اصطحبه برفقة عدد جنود الحراسة وتسليمه إلى القيادة الأعلى.

*****

و أقبل يوم **الحادى عشر من أكتوبر** و رجال الإسترلا فى موقع علوان فى يقظة تامة منذ أول ضوء للصباح يراقبون السماء بعين لا تغفل، ولا تمل، ولا تكل ... وجميعهم فى إنتظار تأدية دورهم ... ولكن مرت ساعات هذا اليوم بدون إشتباك مع طائرات العدو ... على الرغم من أن القصف الجوى لم ينقطع خلال هذا اليوم ...

و لكن طائرات العدو كانت تأتى على إرتفاعات عالية جداً للهروب من وسائل الدفاع الجوى المصرية المختلفة ... وكل ما كانت تستطيع عمله هو تفريغ حمولتها من القنابل والمتفجرات فوق مواقع القوات المصرية عشوائيا وبلا تركيز أو تحديد لهدف بعينه ثم تعود مسرعة ناجية بنفسها ... وكان نتيجة هذا القصف خلال ذلك اليوم أن سقطت قنبلة زنة الألف رطل على بعد حوالى ٢٠٠ متر من حفرة

علوان البرميلية ... شاهد علوان سقوط القنبلة وما أحدثته من أنفجار مدوى هز علوان بعنف فيحفرته وأهال الرمال داخلها .. كما شاهد الشظايا والدخان ، والأتربة وهى تتناثر فى جميع الإتجاهات وكانت الشظايا الملتهبة أسرع الجميع فى التطاير حول منطقة الإنفجار واتجه بعضها نحو موقع علوان الذى فوجئ بإحداها تأتى مسرعة فى إتجاهه... فما كان منه إلا أن مال بجذعه إلى الخلف فى حركة لا إرادية كى يتفاداها وبالفعل مرت الشظية الملتهبة والتى يبلغ طولها حوالى ٢٥ سم فوق حفرته فى المكان الذى كان يقف به لتستقر فى أحد شكائر الرمال التى يدعم بها حافة حفرته البرميلية ... وعلى بعد حوالى ٢٠ سم فقط من وجهه ... فحمد علوان الله على إنه قد نجاه من هذا الخطر المحقق... وما أن هدأ تناثر الشظايا ومن خلال سحب الدخان، والأتربة ورائحة البارود التى تملأ المكان بدأ الرجال فى الموقع يطمئن كل منهم على الآخر فنادى بعضهم البعض ...

- يا علوان ... جرالك حاجة ؟

- لأ الحمد لله ...

- يا كمال .. فيه حاجه عندك ؟

- لآ مافيش ...

- طيب بص جنبك شوف الغندور صوته موش باين ...

- يا غندور ... يا غندور ...

- أيوه ... هه ... هه ...

= فيه حاجه ؟

= لأ بس الحفرة إتردمت عليّ

وبعد مدة حمل الهواء الغبار الناتج عن الإنفجار بعيداً وبدأ الرجال يشاهدون بعضهم البعض ويتنفسون هواءاً نقياً مرة ثانية.

*****

وها هو يوم جديد من أيام المعركة ، وهو يوم **الثانى عشر من أكتوبر** والرجال فى مواقعهم يتابعون مجريات المعركة بالعين المجردة فى قطاعهم ... ويستمعون من قادتهم إلى نتائج ومجريات الأمور فى القطاعات الأخرى عن طريق الإتصال التليفونى .. فى حين يتابعون الحالة العامة وأوضاع قواتنا على مستوى الجبهة من البيانات العسكرية التى تذيعها الاذاعة المصرية والتى كانت متفقة مع ما تذيعه الإذاعات العالمية بما فيها إذاعة العدو نفسه .. وكانت تلك البيانات ذات تأثر فعّال وقوى فى إستمرار إرتفاع حماس الجنود ودافعاً لهم على بذل المزيد من الجهد ... وبدأت أغانى النصر المحببة إلى نفوس الجنود ومنها:

دولاً ميـن ... ودولا ميـن ... دولا ولاد الفلاحيـن ... دولا مين... دولا مين ... دول عساكر مصريين ...

مرت ساعات هذا اليوم أيضاً ولم يشتبك علوان مع طائرات العدو على اليوم التالى على التوالى ... ولكن ذلك لم يرضى البطل وهو يشاهد طائرات العدو بين الحين والآخر فى سماء المعركة ولكن إما تكون على إرتفاعات عالية ... أو خارج قطاعه وبالتالى خارج نطاق صواريخه ... وخشى علوان أن يمر هذا اليوم ايضاً دون أن يسقط أحدى طائرات العدو ... ومع آخر ضوء كانت هناك إحدى غارات العدو على بعض المواقع المجاورة فأراد علوان أن يجرب حظه معها ... فتعامل مع إحدى هذه الطائرات ولم تكن فى وضع مثالى بالنسبة للتصويب له لذلك فقد وصل الصاروخ بعد أن كانت قد خرجت من مجاله فلم تصبها ... حزن علوان ... وأراد أن يجرب حظه مع أخرى خلال عشرة دقائق فقط ... ولكن لم يحالفه التوفيق هذه المرة ايضاً ... فكانت أسوأ الليالى التى مرت على علوان تلك الليلة التى فشل فيها من أصابة هدفه .. ولكنها كانت تجربة تعلم منها الكثير ... حيث لا يكفى الحماس والأمانى لتحقيق الهدف ... بل يجب تطبيق كل ما تم تعلمه حرفياً وبدقة ... ويأتى التوفيق بعد ذلك ... ومرت تلك الليلة الحزينة بطيئة على علوان الذى ظل صامتاً طوال الليل فى موقعه لا يتحدث إلى أصدقائه فى الحفر المجاورة كالمعتاد ... وأثناء الليل تم تزويد الجماعات بالصواريخ تعويضاً عما استنفذ خلال النهار ... وكذلك كان يتم تزويدهم

بالتعيين الميدانى من معلبات الأغذية المحفوظة والعصائر وما إلى ذلك...

*****

أشرقت شمس يوم **الثالث عشر من أكتوبر** ورجال الإستيرلا بمواقعهم فى أرض سيناء الحبيبة وقد استكملوا أسلحتهم ومعداتهم وعلى أتم الإستعداد للتعامل مع طائرات العدو ولكن اليوم مر دون أن يشهد هذا القطاع غارات من طيران العدو ... ومر اليوم عليهم هادئاً ولكنه كان هدوءاً مثل الذى يسبق العاصفة.

وقد كان يوم **الرابع عشر من أكتوبر** يوماً مشحوناً لرجال الدفاع الجوى حيث جاءت تعليمات إلى موقع علوان عن طريق أجهزة الإتصال لدى جنود الإشارة مع مطلع هذا اليوم أنه سيكون هناك نشاطاً مكثفاً لقوات العدو الجوية ... وبالفعل مع بداية اليوم كانت هناك طلعات لطيران العدو تصل إلى ٤٠ طائرة فى الطلعة الواحدة. وكانت هذه الطائرات تلقى بحمولاتها من ارتفاعات عالية جداً ...

ولكن عند الساعة الحادية عشرة إتبعت طائرات العدوالوسيلة التى نبهت إليها القيادة الرجال بموقع علوان وهى إحتمال إستغلال العدو لمنطقة البحيرات المرة والإلتفاف خلف قواتنا ومهاجمتها من جهة الغرب مثلما حدث من قبل ... وبالفعل شاهد علوان ورجال موقعه حوالى ١٦ طائرة فتعامل علوان مع أقرب هذه الطائرات إليه فأطلق صاروخه

نحوها فى حين قام رامى آخر بالمجموعة وهو المقاتل ابراهيم الغندور بالتصويب نحو طائرة اخرى وتابع كل من بالموقع هذان الصاروخان المنطلقان فى اثر طائرتان من طائرات الفانتوم المرعبة ... وما هى إلا ثوان قليلة إلا وكان صاروخ علوان قد أصاب الفانتوم فى مقتل فدمرها تدميراً تاماً وشوهدت وهى تسقط مندفعة بقوة نحو الأرض بزاوية حادة ... ولكن على مسافة بعيدة عن موقع علوان ... أما الصاروخ الآخر فقد أصاب الطائرة الاخرى إصابة غير مباشرة حيث شوهدت وهى تبتعد مخلفة ورائها خطاً طويلاً من الدخان ...

وقوبل هذا النشاط المكثف من طائرات العدو بنشاط مقابل مكثف من مقاتلاتنا من طراز ميج ١٧، ١٩ والسوخوى من الواحدة ظهراً وكان رجال صواريخ الاستيريلا بموقع علوان على علم بتوقيتات مرور طيراننا اثناء هذه العمليات ... فها هى ٦ طائرات مصرية تمر من فوق موقع علوان قادمة من الغرب فى إتجاه الشرق إلى داخل عمق سيناء لتنفيذ المهام القتالية المكلفة بها فى حوالى الساعة الثالثة عصراً وبعد مدة عادت ٤ طائرات فقط ... فشعر علوان وكل من معه بالموقع بالقلق عل الطائرتين المصريتين المتخلفتين ولكن ما هى إلا دقائق قليلة وكانت هاتان الطائرتان قادمتان فى طريق عودتهما بسرعة عالية ولكن كانت خلفهما وعلى ارتفاع أعلى قليلاً طائرتان من طائرات العدو من طراز الميراج أمكن تميزهما بسهولة بواسطة مجموعة علوان المدربة جيداً على ذلك الأمر ... ولم يضيع علوان وقتاً فى التفكير ... وهو يرى الطائرتين الإسرائيليتن تلاحقا الطائرتين المصريتن المسرعتين فى

محاولة العودة إلى قاعدتهما قبل نفاذ وقودهما ... فصوب صاروخه نحو اقرب الطائرتان الميراج إلى موقعه فتتبع الصاروخ الطائرة واصابها فـى مقتل فتهاوت مشتعلة فـى حين دار الطيـار الإسـرائيلى الآخر بطائرتـه عائداً بعد أن شعر بالخطر من وجوده فى متناول صواريخ ابنـاء مصـر المهرة ...

أثبت علوان بإسقاطه هذه الطائرة الإسرائيلية من فـوق الطـائرة المصريـة إنـه يتمتـع بمهـارة عاليـة وسـرعة بديهـة وحسـن تصـرف فـى المواقـف الحرجـة لذلـك لـم تمـر هـذه الحادثـة بسـهولة ... فهـا هـو قـائد فصيلته يأتى من موقعه ليهنئ علوان فى حفرته ويشد على يده ... وأبلغه أنه قام بإرسال إشارة الى قائد كتيبته يبلغه بما حدث ...

*****

وفى أقل من ساعة وخلال ظـروف القتـال شـاهد علـوان سيارة جيب من سيارات القيادة تأتى مسرعة من الخلف فى إتجاه موقعه وهبط منها ضابطاً برتبة اللواء وعلم علـوان أنـه قـائد فرقـة الدفـاع الجـوى ... اللواء سعيد على ... والذى تشغل فصيلة علوان احد تشكيلاته الفرعية... حضر خصيصاً من مقر قيادته ليشاهد هذا الجندى ذو الكفاءة العاليـة ... وكان معه رئيس عمليات القطاع وبعض القادة الآخريـن ... نـزل اللـواء سـعيد علـى قـائد الفرقـة إلـى الحفـرة البرميليـة بجـوار علـوان وصـافحـه وعانقه وبادره قائلاً:

- اكثر الله من امثالك ... لقد اسقطت طائرة اسرائيلية ...

وأنقذت طائرة مصرية ... ما أسمك ؟

= جندى محمد رمضان عبده علوان

وسجل قائد الفرقة اسم علوان بمفكرة فى جيبه ... وانصرف متمنياً لعلوان دوام التوفيق ...

*****

أرتفعت معنويات علوان فى ذلك اليوم عنان السماء وشعر بالفخر والإعتزاز بإنه قام بعمل فذ حفر اسمه فى سجلات المعركة ... وزاد إعتزاز زملاءه به وفخرهم بإنتماءه إلى موقعهم ...

*****

ومثلما لم تمر حادثة اسقاط الطائرة الاسرائيلية من فوق الطائرة المصرية بهدوء على الجانب المصرى ... حدث نفس الأمر على الجانب الإسرائيلى ... حيث شنت الطائرات الاسرائيلية مع آخر ضوء فى هذا اليوم غارة عنيفة قاصدة الموقع الذى يوجد به علوان ... وبدأ قصف طائرات العدو للموقع وبدأ علوان فى الإشتباك مع الطائرات المغيرة واختار تلك الطائرة الاسكاى هوك التى صوبت أحدى صواريخها بالقرب منه ... فتتبع صاروخ علوان تلك الطائرة التى ما كادت تصوب صاروخها نحو موقعه إلا وارتفعت فى الجو لتتحاشى

خطورة الصواريخ الموجهة للطيران المنخفض وإرتفاع الطائرة المفاجئ لحظة وصول صاروخ علوان إليها لذلك فلم يصبها الصاروخ إصابة مباشرة حيث شوهدت الطائرة وهى تبتعد عن الموقع وخلفها غلالة من الدخان ...

وفى الوقت نفسه تمكنت الجماعة المجاورة من إسقاط احدى طائرات العدو خلال هذه الغارة وكانت الطائرة الثانية الى اسقطوها خلال هذا اليوم كما علموا من أجهزة الاتصال بموقعهم ... واستمر الرجال فى مواقعهم فى إنتباه وحرص طوال الليل ...

*****

أقبل يوم **الخامس عشر من أكتوبر** وهو يحمل فى طياته الكثير والكثير للرجال فى موقع علوان ... فمع أول ضوء لهذا الصباح واصل العدو طلعاته الجوية فى استماتته لإحداث أية خسائر بين القوات المصرية دون أن يرتدع من خسائره العالية فى طائراته سواء القادمة على إرتفاعات عالية أو تلك القادمة على إرتفاعات منخفضة على أيدى أبناء مصر عن جنود الدفاع الجوى تحت قيادة اللواء محمد على فهمى قائد سلاح الدفاع الجوى ..

ولجأت طائرات العدو إلى حيلة جديدة لعلها تفلح فى تجنب صواريخ الدفاع الجوى المصرية ... فكانت تأتى على إرتفاعات شاهقة حتى تكون قدر المستطاع خارج مدى الصواريخ المضادة للطيران

المرتفع ثم تهوى فجأة منقضة على الهدف المراد تدميره إلى اقل إرتفاع ممكن كى تتمكن من دقة إصابته .. وبعد ذلك تعلو مرتفعة إلى نفس إرتفاعها السابق فى طريق عودتها لقاعدتها.

*****

وفى أحدى هذه الهجمات على موقع علوان وبالتحديد على إحدى الوحدات التى يقوم علوان ورفاقه بحمايتها وكان ذلك فى الساعة التاسعة والنصف صباحاً رصد علوان من موقعه إحدى هذه الطائرات المنقضة من أعلى وكانت على بعد غير ملائم بالنسبة لصواريخه ... ولكن عندما أصبحت على إرتفاع منخفض وأثناء محاولتها المناورة للإرتفاع لأعلى مرة ثانية كانت هذه المرة في موضع مناسب للإشتباك معها ... فقام علوان بإرسال صاروخه خلفها فى لحظة صعودها وما هى إلا ثوان معدودة كانت الطائرة قد صعدت خلالها لمسافة عالية ... إلا وكانت تنفجر مشتعله في الجو... وللمرة الثانية خلال المعركة يقفز طيار هذه الطائرة أيضاً فوق موقع علوان ... ولكن فى هذه المرة كان على ارتفاع عال جداً ... تردد علوان قليلاً قبل أن يقفز خارجاً من حفرته لأسر صيده خشية أن يقوم بأى أعمال تخريبية داخل الموقع الذى سيسقط به ... وصاحب علوان زميله فى الطاقم المسئول عن المراقبة الجوية مع ثلاثة من جنود الحراسة منهم الجندى صابر عبد الواحد الذى تعرض من قبل لصنوف العذاب بمعسكرات الأسرى عام ١٩٦٧... فى حين تسلم الرامى الآخر مسئولية حماية الموقع ... وتابع الجنود الخمسة الطيار

الإسرائيلى الذى كان من دقائق معدودة يقصف مواقعهم بصواريخ طائرته ويلقى عليهم قنابله المدمرة فها هو يهبط من أعلى فوق المنطقة التى قصفها وها هم جنود مصر الذين كان يحاول إهلاكهم يحاصرون منطقة هبوطه حيث حملته الريح إلى حافة تبه مرتفعة وكان الجنود أسبق منه فى الوصول لقمتها التى تعلو ما يزيد عن الخمسون متراً ولكنه لم يسقط على قمتها، بل على حافتها العليا ففقد توازنه وأخذ يتدحرج على الجانب المنحدر من التبة والرجال يتابعونه وهم شاهرين اسلحتهم إلى ان استقر عند اسفلها فاقد الحراك ... ظن علوان ورفاقه فى بادئ الأمر إنه فقد حياته فحاصروه وانتظروا بعض الوقت حتى أفاق وبدا عليه الإرهاق والتعب الشديدين وبعد تخلصه من اربطة مظلته التى ساعده أبناء مصر المتحضرين أبناء الشعب الطيب الأصيل فى حلها وقاموا بتقييده بأحد الحبال واقتادوه بدون أهانة أو اقل انواع التعذيب إلى موقعهم.

وأثناء الطريق لمحه الجندى صابر وهو ينظر إلى زمزمية المياه الصغيرة التى يحملها وهو يلهث ... وبدون أن يشعر صابر وجد نفسه يخرج زمزميته من جرابها بالقايش يمد يده بها إلى اسيرهم الذى أخذ يتجرع منها بعض جرعات تساعده على الحياة وهو الذى أقبل يحمل لهم الهلاك ...

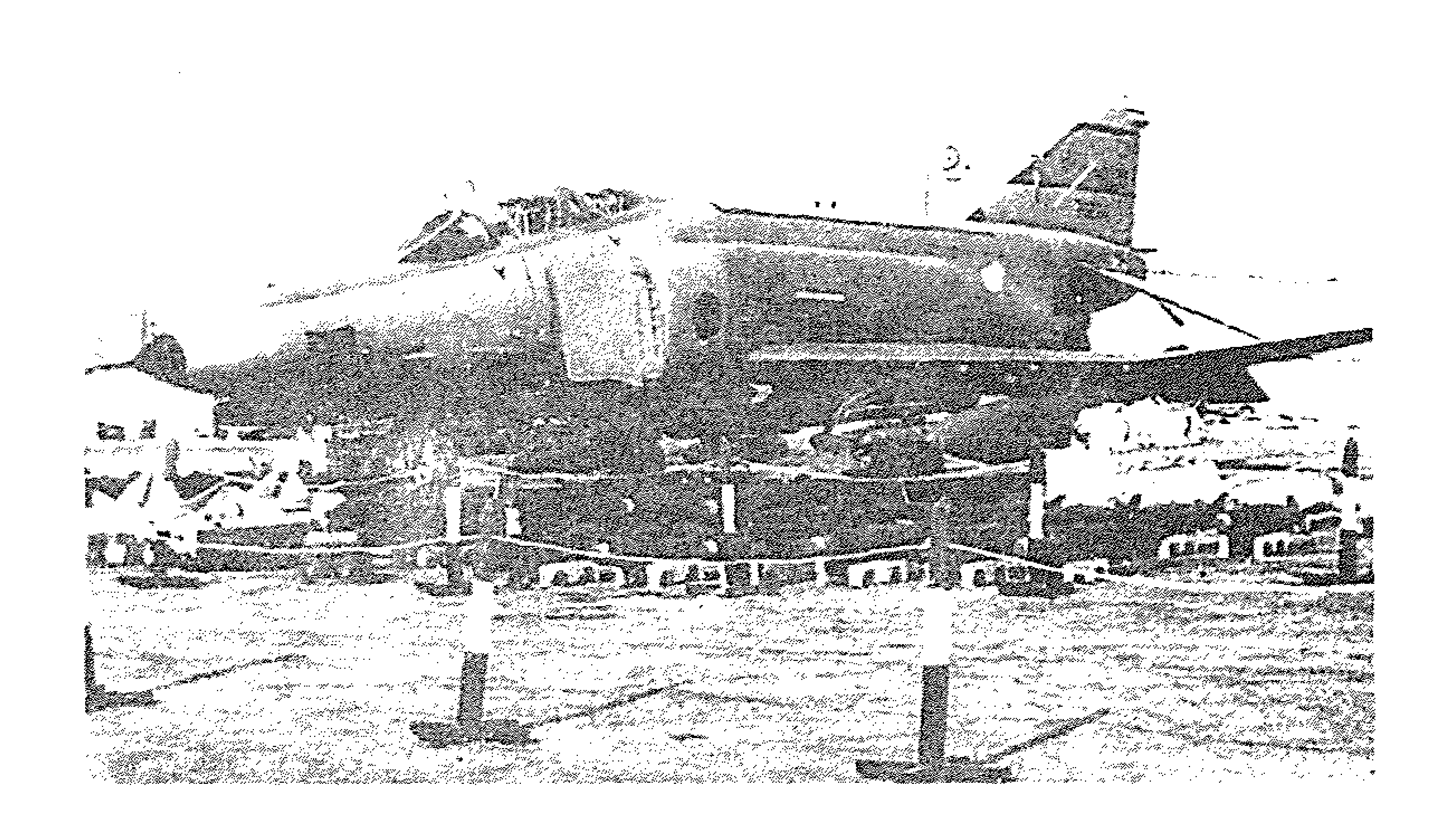
ولم يكن ذلك بمستغرب على أبناء مصر .. فتلك حصيلـة سبعة آلاف عام حضارة مكسوة بسماحة ورحمة الإسلام ... وكما تم فى المرة الأولـى حضـر قـائد الفصيلـة بعد إتصـال تليفونـى بـه مـن موقـع علـوان بواسطة جنود الإشارة وفى سيارة جيب تم إقتياد الأسير إلى الجهات المسئولة لوضعه بـأحد معسكرات الأسـرى بـالخطوط المصريـة الخلفيـة التى تحظى بكل العناية والرعاية الصحية ...

*****

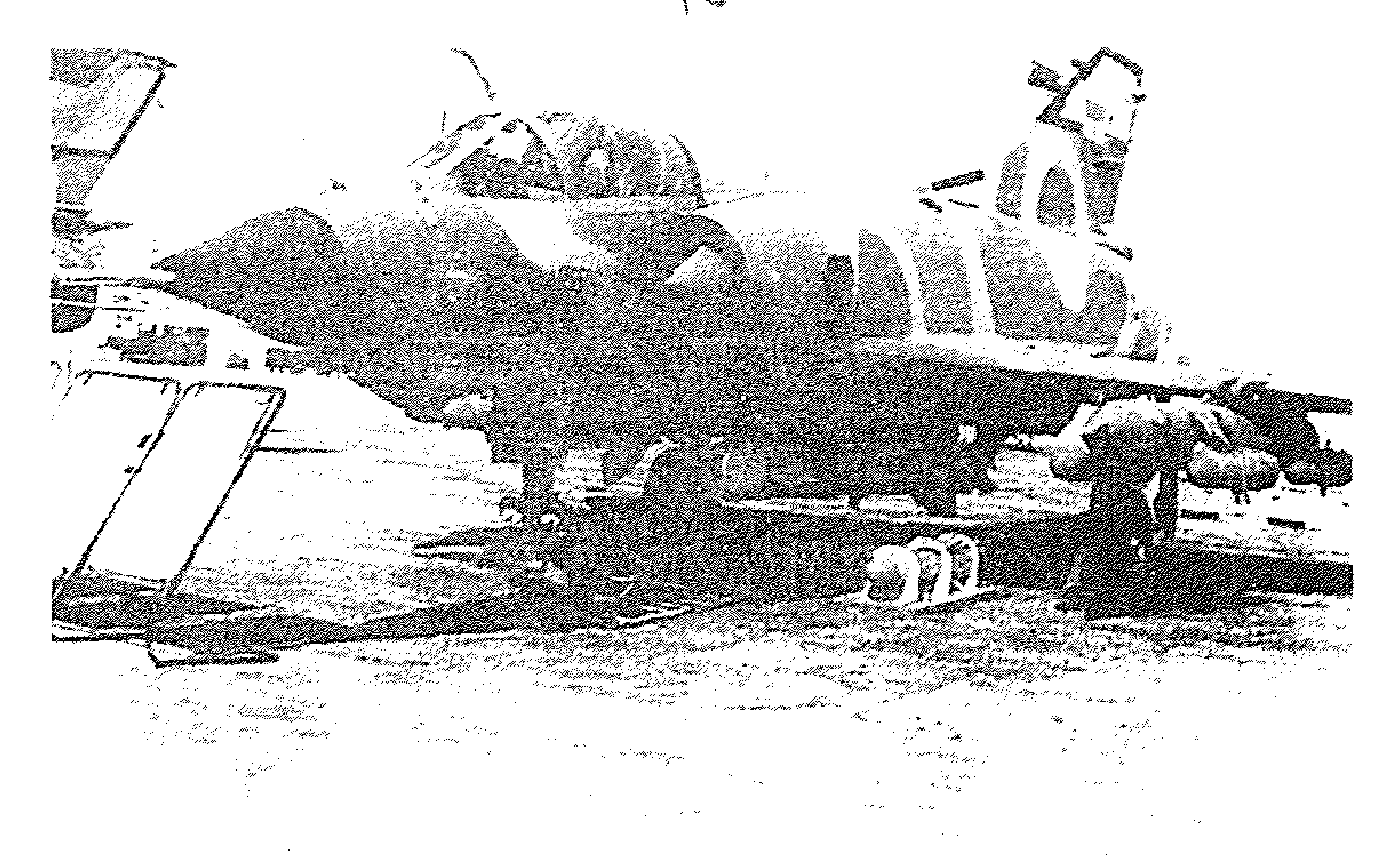
ومـرة ثانيـة خـلال اقـل مـن ثـلاث سـاعات تغـير الطـائرات الإسرائيلية على الموقع الذى يوجد به علوان .. وبنفس الإسلوب الجديد من الوصول إلى الهدف على ارتفاع شاهق ثـم الهبـوط المفـاجئ السـريع فوقه لقصفه ثم الارتفاع الحاد مرة ثانية ... ففى حوالـى السـاعة الثانيـة عشـرة والنصـف ظهـر ذلـك اليـوم رصـد علـوان تشـكيل من طـائرات الميراج الإسرائيلية ... وتعامل علـوان مـع إحـدى طـائرات التشـكيل ... ولكن المناورة الجادة التى قام بها الطيار ضد الصاروخ المتابع له جعلت إصابة الصاروخ للطائرة غير مباشرة حيث شوهدت الطائرة تبتعـد علـى إرتفاع عالى والدخان يندفع من خلفها حتى توارت عن الأنظار ..

وخلال الفترة الباقية من النهار اتضح أن هناك تركيز من العـدو غير عادى على هذا القطاع ...

*****



الفانتوم F-4



الميــــــراج

الفصل السابع

الثغرة

شــاء

حظ علوان أن يكون

شاهداً على العملية التليفزيونية

التى قامت بها القوات الإسرائيلية عندما تسللت

بعض قواتها إلى الضفة الغربية للقناة فى محاولة

لحفظ ماء الوجه لقواتها ... وقد عاون علوان

ومجموعته إحدى مجموعات الصاعقة

المصرية فى تدمير بعض مجنزرات

العدو فى منطقة

الثغرة

أفقد عبور الجيش المصرى قناة السويس وإقتحامه لخط بارليف المنيع القيادة العسكرية الإسرائيلية صوابها ... فهاهى خطوط العدو الدفاعية الحصينة تتساقط الواحدة تلو الأخرى أمام ضربات أبناء الجيش المصرى ... وها هى محاولاته الشرسه فى تدمير موجات الهجوم الأولى للمشاة المصريين الذين عبروا إلى سيناء تبوء بالفشل .. ثم هاهى محاولاته التالية فى قطع خطوط الإمداد بين جانبى الجيش على الضفة الشرقية والغربية للقناة بمحاولة تدمير المعابر التى أُقيمت فوق مياه القناة قد فشلت أيضاً .. وها هى طائراته المزودة بأحدث المعدات والأجهزة التى تعاونها فى المناورة من وسائل الدفاع الجوى تتهاوى محترقة الواحدة تلو الأخرى على ارض سيناء وعلى ضفاف القناة ...

وفى المقابل كان كل يوم يمر من أيام المعركة تكتسب القوات المصرية المزيد من الأرض التى طال إشتياقهم إليها حتى أصبحوا على مشارف المضايق ...

وهاهم نسور الجو المصريون فى طائراتهم المقاتلة يشنون غاراتهم الجوية على أهداف منتقاه فى عمق سيناء وتقديم يد العون للقوات البرية بكل البراعة والثقة فى النفس ...

وها هى البحرية المصرية العريقة تشن هجماتها الصاروخية ضد تجمعات العدو ومنشآته الحيوية على سواحل البحرين الأحمر والمتوسط، بالإضافة إلى مهامها فى إغلاق مضيق باب المندب لإغلاق

البحر الأحمر أمام أى سفينة إمدادات متجهة لإسرائيل عن طريق ميناء ايلات شمال خليج العقبة ...

وهاهم رجال الصاعقة المصريين رجال المهام الصعبة وقد أطاروا النوم من عيون الإسرائيليين للعمليات الجريئة والهجمات الإنتحارية التى كانوا يشنونها خلف خطوطهم، والكمائن التى كانوا ينصبونها على محاور سيناء خلف المضايق لمنع وصول أحتياطيات العدو لميدان القتال وما كان يتكبده العدو من خسائر فادحة نتيجة لهذه العمليات التى كانت تشتت فكره وتركيزه ... وتصيبه بالإنزعاج والذعر... الأمر الذى دفع جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل فى ذلك الوقت أن ترسل برقية عاجلة الى البيت الأبيض بواشنطن محتواها **"أن أنقذوا اسرائيل من الهلاك"** وبالفعل قامت الولايات المتحدة الأمريكية بمد جسر جوى ما بين قواعدها الجوية وبين مطارات اسرائيل وخاصة القريبة من ساحة القتال مثل مطار العريش الذى كانت تهبط به الطائرات الأمريكية من طراز CSA محملة بأحدث ما فى ترساناتها العسكرية من أسلحة لم يكن الجيش الأمريكى نفسه قد استخدمها لاسيما الدبابات الحديثة المزودة بأجهزة رؤية ليلية وزيادة فى سمك دروعها، وقدرات أحدث فى قذائفها لمضاعفة قدرتها على إختراق الدروع .. وقد وقعت إحدى هذه الدبابات الحديثة بين ايدى قواتنا بعد أن فر منها طاقمها فى أحد الإشتباكات وتركوها سليمة فكان الملاحظ أن عداد الدبابات لم يسجل سوى ١٢٠ كيلو متر فقط وهى المسافة من مطار العريش حتى ساحة القتال بالقطاع الأوسط .. ومن تلك الأسلحة الحديثة أيضاً صاروخ

مافريك جو أرض لم يستخدمه الجيش الأمريكى وأُستخدم للمرة الاولى فى سيناء.

ولم تكتفى الولايات المتحدة بتقديم أحدث الأسلحة لإسرائيل بل عاونتها بتقديم منجزات علوم الفضاء حينما امدتها بصور جبهة القتال كما نقلتها الأقمار الصناعية الأمريكية التى كانت تغطى الجبهة وتلتقط صوراً لها كل ساعة على مدى الأربع والعشرون ساعة يومياً ... وهو الأمر الذى وضع أمام قادة العدو صورة واضحة لحشود القوات المصرية وتحركاتها والمنطقة التى بها كثافة فى القوات، والأخرى التى تقل بها تلك الكثافة نتيجة للتحركات المستمرة على الجبهة ... وهو ما ساعدهم على أختيار أنسب الطرق للتسلل وإحداث تلك الثغرة ... وهى عملية تليفزيونية دعائية فى المقام الأول ... كى تظهر إسرائيل من ورائها للعالم إنها لازالت موجودة ...

وقد حدثت تلك الثغرة عندما استطاعت أعداد من مجنزرات العدو البرمائية عبور قناة السويس عند منطقة البحيرات بجوار منطقة الدفرسوار وهى منطقة ذات حماية طبيعية نتجية لإتساع المسطح المائى الذى يبلغ حوالى ١٦ كيلو متراً، بالإضافة الى الكثبان الرملية التى يصعب على المجنزرات أو أية قوات برية المرور من فوقها بسهولة وتقع على الشاطئ الشرقى للبحيرات ... وحاولت القوات الإسرائيلية فى الثغرة على الضفة الغربية للقناة أن تطوق الجيشان الثانى والثالث فاندفعوا للشمال صوب الإسماعيلية ولكن قواتنا علىالشاطئ الغربى للقناة

تصدت لهم ولم تمكنهم من ذلك فأندفعوا جنوباً لمدينة السويس وحاولوا بشتى الطرق دخولها لما لها من أهمية تاريخية وشهرة عالمية تخدم الأغراض الدعائية للعدو ولكنهم فشلوا أيضاً في دخول المدينة من أيٍ من مداخلها الثلاثة أو محاورها الثلاث بالتعبير العسكرى وهى: محور المثلث على الطريق الرئيسى القاهرة - السويس .. والمحور الزراعى وهو مدخلها من ناحية الإسماعيلية. ومحور بورتوفيق وهو الذى يصل إلى معابر الجيش الثالث ... وكان ذلك بفضل المقاومة الباسلة لقوات الدفاع الشعبى بالمدينة المدعمة ببعض عناصر الجيش ... وفىالنهاية تمكنت القوات المصرية من محاصرة القوات الإاسرائيلية فى منطقة محدودة على الضفة الغربية للقناة وكالت لها ضربات موجعة ... ثم تم حشد القوات والأسلحة اللازمة لتصفية هذه الثغرة وهو ما أكدته صور الأقمار الصناعية للقيادة الإسرائيلية. الأمر الذى دعاهم إلى قبول الإنسحاب منها خلال مفاوضات فك الإشتباك بين مصر وإسرائيل ...

*****

وكان علوان بطل قصتنا هذه شاهدا على الفصول الأولى من عملية الثغرة لقرب موقعه من مكان حدوث التسلل الإسرائيلى مساء **يوم ١٥ أكتوبر ..**

فمنذ صباح ذلك اليوم وغارات العدو الجوية لاتنقطع بأسلوبها الجديد من وصو ل قاذفات العدو على إرتفاع شاهق ثم الإنخفاض الحاد

فوق الهدف مباشرة للتمكن من دقة إصابته ثم الارتفاع الحاد لأعلى مرة أخرى ..

ومع آخر ضوء فى هذا اليوم شاهد علوان وزملاؤه وهم بحفرهم البرميلية تحركات مريبة من حولهم وعلى بعد ليس كبير بواسطة مدرعات مختلفة الشكل والحجم عما تعودوا عليه طوال الأيام الماضية بالنسبة للمجنزرات المصرية .. لقد كانت الثغرة قد بدأت فى تلك الأثناء .. ولاحظ علوان وجود تداخل كبير بين القوات المصرية والقوات الإسرائيلية فى ذلك القطاع وكانت خطوط الإتصالات السلكية بينه وبين قيادة فصيلته قد قطعت أثناء هذه التحركات .. ولكنه قبل ان يتحرك من موقعه كان لزاما عليه أن يتخذ إجراءاً وقائياً وهو يرى مدرعات العدو تسير بالقرب منهم ولا يخفيهم عنها سوى ظلام الليل الذى أسدل أستاره عليهم وتلك الحفر البرميلية التى لا تظهر منهم سوى الرؤوس .. وإتخاذ الإحتياطيات اللازمة كى لايقع هذا السلاح الحديث والسرى فى ذلك الوقت فى أيدى العدو .. وبالفعل قام علوان ومجموعته بجمع مالديهم من صورايخ وكانت قليلة العدد لإستخدامه العديد منها أثناء نهار ذلك اليوم وقاموا بتدميرها من البعد .. وبدأو التفكير فى كيفية الوصول الى قائد فصيلتهم وقرروا إتخاذ طريق ملتف وطويل حيث أن حركة العدو كانت كثيفة بالقرب من الطريق المعهود المؤدى الى قيادة الفصيلة .. وأثناء تحرك هذه المجموعة المكونة من سبعة جنود بكل الحرص والحذر ... وعند أحد أنفاق السيول تحت الطريق الأسفلتى الممتد من الشمال إلى الجنوب وعلى بعد ٥ كيلو مترات من شط القناة

استوقفهم قائد إحدى مجموعات الصاعقة المصرية ... وسألهم عن وجهتهم... فأخبر علوان قائد هذه المجموعة بوجهته إلى قيادة فصيلته ... وعرض علوان تقديم أية معاونة لاسيما عندما شاهد تسليح تلك المجموعة بالقاذف الصاروخى "آربى-جيه" المضاد للمدرعات .. ولم يحرم قائد مجموعة الصاعقة علوان وإخوانه من مشاركتهم لبعض الوقت فى مهمتهم فى تلك المنطقة .. فتوزع الرجال على أفراد مجموعة الصاعقة يحملون عنهم قذائفهم، ويقوموا بمناولتها لهم الواحد تلو الآخر .. وكان نصيب علوان أن يرافق قائد مجموعة الصاعقة وكان نقيباً يسمى فؤاد حيث أخذا موقعهما بمنطقة ذات أعشاب جافة ترتفع نحو المتر وكان علوان يتحرك بجوار هذا الضابط لايفارقه .. والذى كان يجلس تارة فى وضع القرفصاء وقاذفة الصاروخى فوق كتفه ويرقب تحركات مدرعات العدو القادمة فى إتجاه منطقة الثغرة وكشافاتها تضئ لها الطريق .. فكان يصوب صاروخه تجاه إحداها فتصيبها وتشل حركاتها .. ثم يدور مرة جهة اليمين وأخرى جهة اليسار .. ثم يتقدم إلى الأمام خطوتين وينبطح أرضاً .. ثم يقوم ويعود لوضع القرفصاء ... وفى كل مرة من هذه المرات كان يصوب صواريخ قاذفه نحو إحدى مدرعات العدو أو عرباته المجنزرة .. وقد أحصى علوان لهذا القائد الرامى الماهر تدميره لثلاث مصفحات ثم عربة مجنزرة خلال اقل من ثلاث ساعات وهى الفترة التى صاحبت فيها جماعة الأستيريلا جماعة الصاعقة .. وبعدها شكرهم قائد الصاعقة[1].

---

[1] هذا القائد الشاب برتبة لواء الآن وهو قائد لأحد اسلحة القوات المسلحة حالياً.

افترقت المجموعتان كل واحدةٍ لتأدية مهامها وواجباتها .. وصل علوان ومجموعته إلى مقر قيادة الفصيلة .. فأطمأن منهم قائد الفصيلة على إتباعهم لتعليمات الأمن بالنسبة لما معهم من صواريخ .. ثم أعطاهم أوامره بمحاولة عبور قناة السويس إلى الضفة الغربية والإلتحاق بقيادة السلاح هناك من أجل إعادة التشكيل والتسليح ...

وبالفعل تحرك علوان وزملاؤه الجنود فى حذر تام وإنتباه كامل حتى وصلوا الى الضفة الشرقية للقناة فلم يجدوا المعبر الذى عبروا عليه من قبل ولم يبقى منه سوى بضع ألواح من الأخشاب والقطع المعدنية التى تتقاذفها أمواج القناة ... وعلى مرمى البصر شاهد علوان إحدى القوارب المطاطية المليئة بالجنود لنقلهم الى الضفة الغربية ولكن عندما وصل إليها كانت قد إمتلأت وليس بها مكان لجندى آخر ... وفى ظل الإشتباكات المتواصلة والتى بدأت تقترب من حافة القناة قفذ علوان مع بعض زملائه فى مياه القناة بملابسهم ليس معهم سوى أسلحتهم الشخصية من المسدسات ٩ مللى ... و لعدم إجادة علوان للسباحة فقد استسلم لتيار القناة يحمله وهو طافي يحرك ذراعيه فى إتجاه الشاطئ الأخر ... وأستمر علوان فى مياه القناة من الساعة الثانية عشرة والنصف بعد منتصف ليل ١٥ **أكتوبر** حتى لا مست قدماه شاطئ القناة المقابل فى الخامسة فجر يوم ١٦ **أكتوبر** على الرغم من أن إتساع القناة فى هذه المنطقة عند المدخل الشمالى للبحيرات المرة لم تكن تزيد عن حوالى ٤٠٠ متراً ... ومع إضاءة الفجر الخافتة تلمس علوان طريقه غرباً نحو قيادة مؤخرة كتيبة وسط إشتباكات بين القوات الإسرائيلية التى

تسللت إلى الغرب والقوات المصرية خاصة من سلاح الصاعقة ... وعلى بعد حوالى ١٥ كم من الشاطئ الغربى للقناة وصل علوان مركز تجمعه الجديد الذى ظل فيه حتى تم تجميع فصيلته وتسليحها من جديد بصورايخ الأستيريلا وأتخذوا مواقع قتالية للإشتباك مع طائرات العدو فى الفترة التى كان فيها القتال على أشده بين القوات المصرية والإسرائيلية فى منطقة الثغرة حتى أمكن منع انتشارها وتحديدها تمهيداً لتصفيتها فيما بعد طبقاً للخطة ... والتى عُين اللواء سعد مأمون قائداً للقوات المعدة للقضاء عليها ... لولا أن أدرك الإسرائيليون أن مصلحتهم الأولى فى الإنسحاب.

*****

كانت حرب السادس من أكتوبر ... العاشر من رمضان من عام ١٩٧٣ بمثابة الكارثة لإسرائيل على أكثر من جهة ... فعلى الصعيد السياسى فقد تحطمت الأسطورة التى ظلت الدعاية الصهيونية تغذيها لسنوات عديدة ألا وهى: "**جيش إسرائيل الذى لايقهر**". أما على الصعيد العسكرى فقد فقدت إسرائيل فيها **٤٢٠ دبابة و١٠٦ طائرة** بواسطة سواعد أبناء مصر. فى حين بلغت الخسائر فى الارواح **٢٥٢٣ قتيلاً**. أما الخسائر المادية فلا يمكن حصرها لتوقف عجلة الحياة المدنية أثناء الحرب بسبب تجنيد القوى العاملة عندهم فى صفوف الإحتياط، بالإضافة إلى أن إسرائيل قد طلبت من الولايات المتحدة تزويدها بأسلحة قيمتها **ثلاثة مليارات دولاراً** لتعويضها عما فقدته من

أسلحة خلال تلك الحرب وفى تصريح لوزير المالية لإسرائيل **فى ٢٥ يناير ٧٤** قال: "إن النفقات التى تكبدتها اسرائيل فى تلك الحرب تكفى لشراء قمح للإسرائيليين طوال الـ ١٢٠ عاماً القادمة".

وكان التأثير النفسى للحرب علىالإسرائيليين هو الأشد قسوة آلاماً ... فقد كان الوصف المختصر فىاسرائيل لحرب أكتوبر على حد قول "هار ولد هارت" الكاتب الأمريكى فى كتابه "يوم كيبور والمائة يوم" هو كلمة "المعيشا" بالعبرية ومعناها "الزلزال" أى الإبادة ... وجاءت هذه التسمية من حقيقة أن الايام المعدودة التى شملتها هذه الحرب عملت بكل عنف وقوة على قلب الآراء التى كانت سائدة فى اسرائيل، والتى كان الناس هناك لا يتزحزحون عنها، ولم يكونوا أبداً على استعداد للتخلى عنها، ثم جاء هذا الزلزال فقلب الأوضاع هناك رأساً على عقب.

- وكان أول هذه المفاهيم الثابتة التى تبددت تماماً منذ اللحظة الأولى لحرب كيبور هو أن أحداً فى اسرائيل لم يكن يتصور أن فى الإمكان مفاجأة قيادة الدولة .. لقد كان كل اسرائيلى يؤمن إلى حد التقديس بقدرة وكفاءة جهاز المخابرات هناك ... وتقارير المخابرات التى وصلت أخيراً الى جولدا مائير رئيسية الوزراء، وموشى ديان وزير الدفاع لم تكن مفسرة وموضحة كما يجب ...

- أما الصدمة الثانية فتمثلت فى السرعة التى انهار بها خط بارليف تحت أقدام القوات المصرية كأوراق الكوتشينة.

- ثم جاءت بعد ذلك الصدمة الثالثة ممثلة فى سلاح الطيران الإسرائيلى. وكانت اكثر الصدمات عنفاً. لقد ثبت أخيراً أن سلاح الجو الاسرائيلى ليس بهذا السلاح المنيع الذى لايقهر، وتعرضت هذه القوات لوابل لايرحم من صواريخ "سام" المضادة للطائرات ... فسقطت الطائرات الإسرائيلية كالعصافير. وكانت الخسائر مرعبة وفادحة للغاية.

- أما الجنود الذين قدر لهم النجاة من تلك الحرب فكانوا أكثر طوائف الإسرائيليين معاناة .. ويحسن أن نعود الى تكملة مذكرات الضابط الاسرائيلى الشاب " شالومو أردنست " بعد سنوات من إنقضاء الحرب فيقول:

مرت الأيام، ومرت الشهور .. ومازال كل شئ ماثلاً أمامى بكل الوضوح وكل القسوة ... إنك يمكن أن تفعل أى شئ ... أن تقضى وقتاً طيباً ... أن تزور أحد أصدقائك ... أن تجلس ساعات طويلة تقرأ الكتب ... أن تسافر الى الخارج .. بإختصار تستطيع أن تفعل أى شئ... ولكن تلك السحابة القاتمة لا يمكن أن تنساها أو تغيب عن عيونك ... أنها أهوال الحرب ... حرب يوم الغفران ... إنها الحرب وذكرياتها التى تطاردنى اينما كنت، واينما ذهبت ... إننى حتى الآن لاتفارقنى تلك المناظر الفظيعة ... حين ظهر الصلب الذى

برز من الماء[1]... وأبداً لا أنسى الرصاص الذى كان يمر فوق رؤسنا بلا توقف ... وذلك البحر البشرى المصرى الذى برز لنا من الرمال .. لقد حدث لنا فى ذلك اليوم مالم يكن يخطر على بال أحدٍ منا .. أبداً لم نتوقع أن يحدث ذلك فى حياتنا أو حياة أجيالنا القادمة ... إننى أتذكر الآن كيف تمكن الجنود المصريون المسلحون بقاذفات اللهب من التسلل الى قرب الحصن حيث بدأوا بعد ذلك فى توجيه المقذوفات والقنابل اليدوية علينا ... أتذكر صرخة أول قتيل من بيننا ... أتذكر ... أتذكر لحظات الإستسلام للمصريين ... حين سلمنا العلم ... وعبرنا إلى الجانب الآخر من القناة معصوبى الأعين .. ثم قادونا فى عدة عربات ... أتذكر تلك اللحظة التى دفعونا فيها الى غرفة التحقيقات ... حينما عدت من الأسر الى بيتى فى "بين براك" ... جلست مع أصدقائى ... كانت سعادتهم غامرة ... وأحاطونى هم أيضاً بالأسئلة والتحقيقات ... لكنها كانت تلك المرة من أصدقاء ومع قدح القهوة والتورته ... والى جوارنا أبى وأمى اللذان لم تبتعد نظراتها عنى ... فى الليلة الأولى بعد عودتى من الأسر...

---

[1] الدبابات والمدرعات المصرية.

لم أحلم بشئ .. لإننى لم استطع النوم حتى الصباح .. وفى الأسابيع التالية .. تملكتنى تلك المشاهد والمناظر .. كنت أنام، وأصحو فجأة مذعوراً مبللاً بالعرق .. وبجانب سريرى كنت أرى دائماً أمى ...

وكنت أسألها:

لماذا تقفين هناك؟

وكانت تجيبنى قائلة:

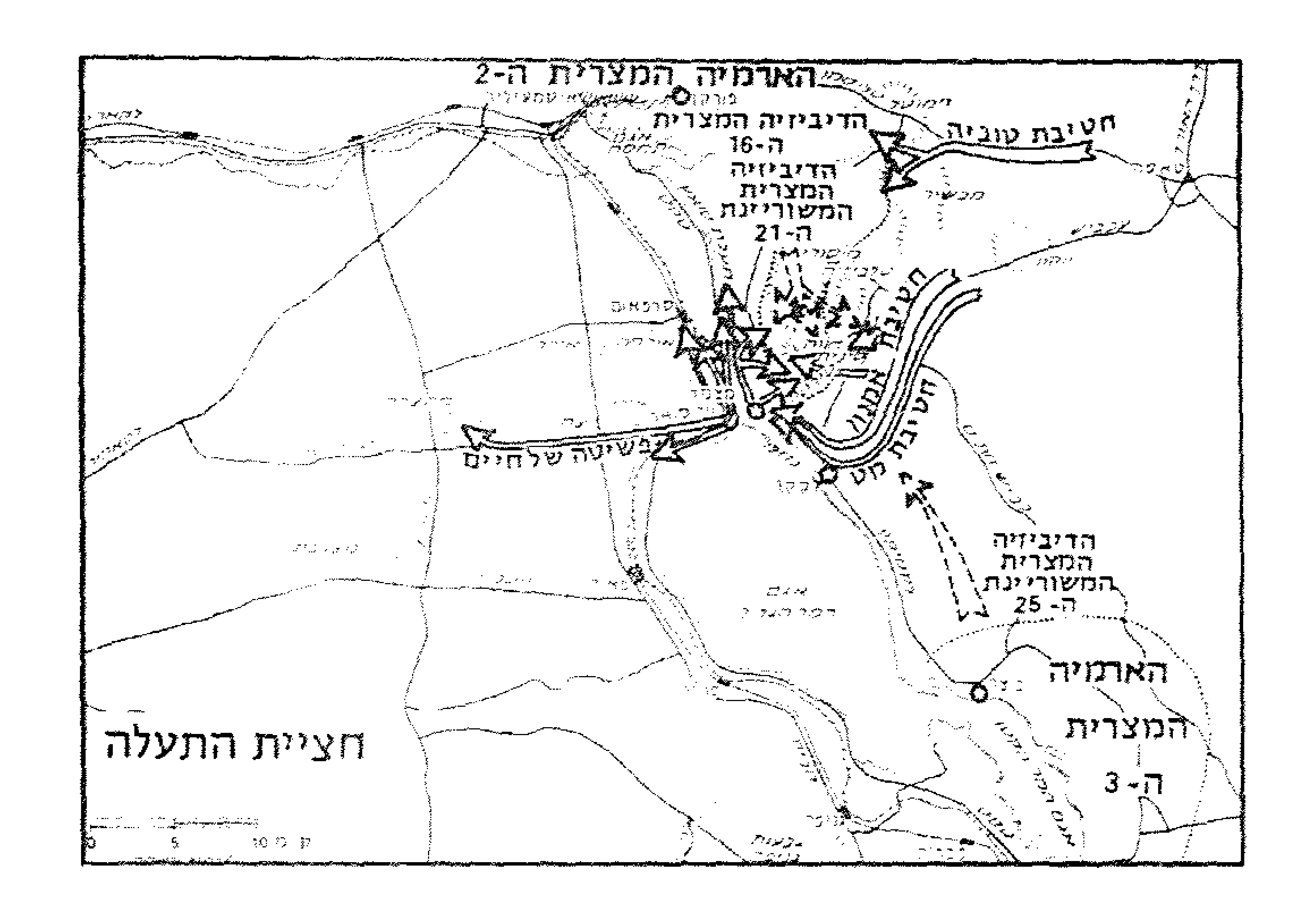
شالومو ... لقد سمعتك تصرخ وأنت نائم.

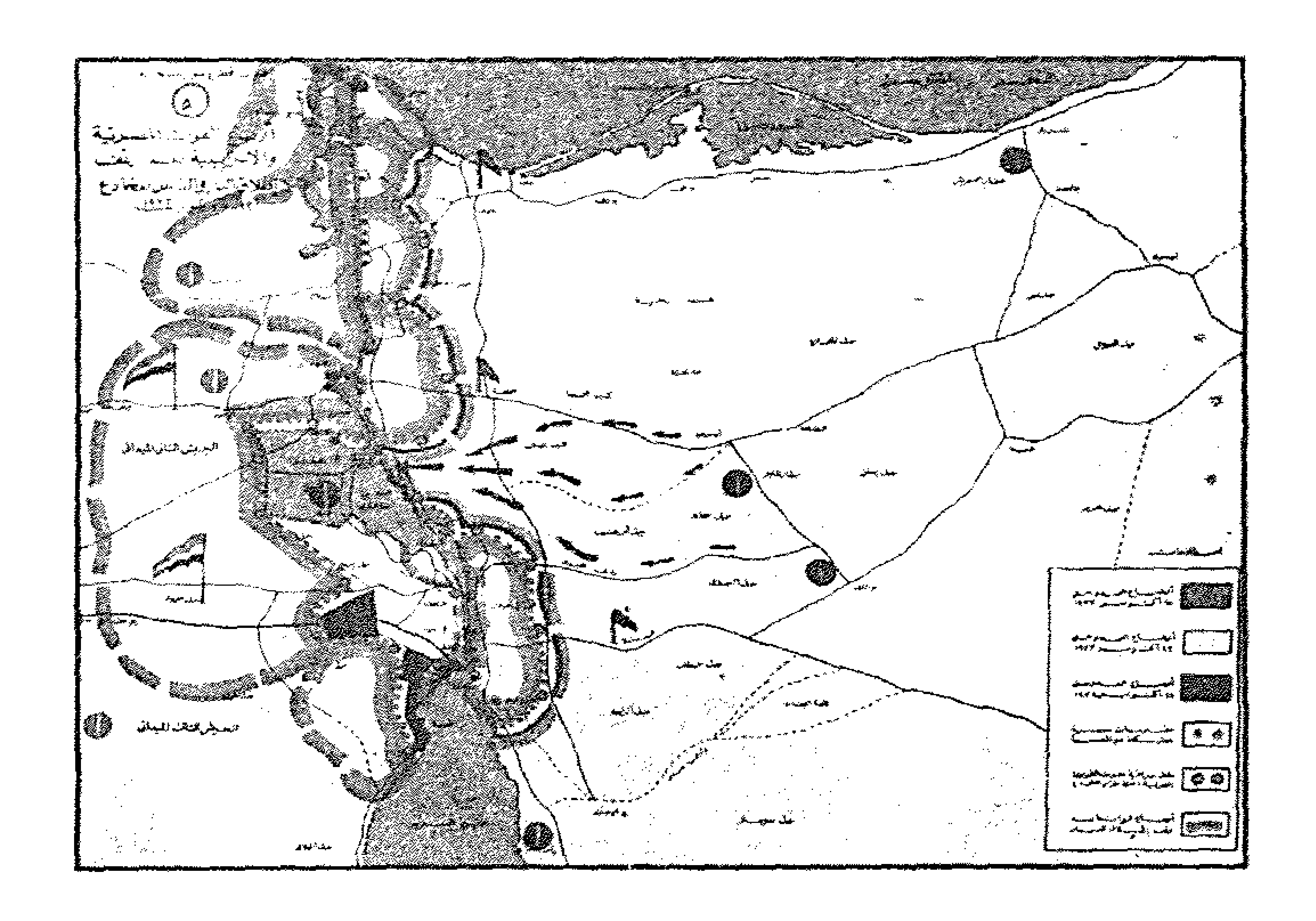
وأقول لها:

لقد رأيتهم ... رأيت الزملاء الذين قُتلوا ... سمعت صراخهم .. لقد كان شيئاً أليماً ...

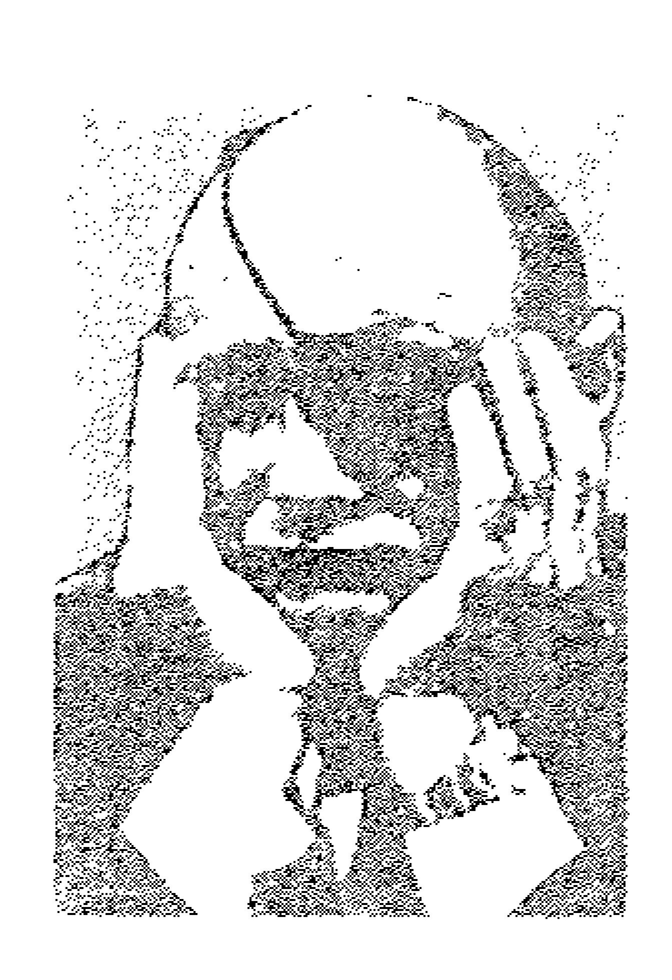
ومروعاً ...

*****





خريطة الثغـــــرة





زلزال أكتوبر أطاح بأحلام إسرائيل

الفصل الثامن

تكريم علوان

لـــم

يتوقع علوان

حجم التكريم الذي أحاطته

به القوات المسلحة ... والجهات المدنية

التي تعامل معها ... أو ذلك الحب والرعاية

من أبناء بلدته ... فمن وجهة

نظره إنه لم يفعل

سوى ... الواجب

لم يكن علوان سوى أحد أبناء مصر البررة الذى أدى ما عليه من واجب تجاه وطنه فى أشرف ساحة ... ألا وهى ساحة القتال ... تلك الساحة التى يكون البذل فيها بالدماء والأرواح ... يجود بها الأبناء عن طيب خاطر لفداء الأوطان ...

لم يكن علوان وهو يصوب صواريخه المحمولة فوق الكتف ضد طائرات العدو الحربية يبغى من وراء ذلك أى نوع من الأمجاد الشخصية بل كان يضع نصب عينيه الدفاع عن كرامة وطنه ... وسمعته العسكرية المصرية .. لكى يفوز بإحدى إثنتين إما النصر ... أوالشهادة .. ولكن بعد أن هدأت حدة المعركة .. وتوقف هدير المدافع ... وأزيز الطائرات .. رأت القيادة أن تكرم أبناءها الجنود المشاركين فى العمليات العسكرية من خلال عدد البارزين منهم تكريماً يليق بإنجازاتهم العظيمة ... وأيضاً كان الشعب متشوقاً لتقديم التحيه لأبنائه الجنود ... والتعرف على هؤلاء الذين أبلوا بلاءاً حسناً وعلموا عن بطولاتهم من المراسلين العسكريين بالجبهة ...

بدأت رحلة علوان مع التكريم منذ اليوم الأول الذى وطأت فيه قدماه الجبهة الداخلية فى أول أجازاته الميدانية التى قضاها بقريته الصغيرة "عزبة مارون" ... وكان ذلك فى يوم الخامس من يناير عام ١٩٧٤ ... تلك الأجازة التى جاءت بعد ١٠٤ يوماً قضاها بالجبهة ... وصل إلى منزله فجراً ... طرق الباب ... فتح له والده الذى كان مستيقظاً لصلاة الفجر ... كان لقاءاً مؤثراً ... تعانق الأب والأبن

طويلاً... حضرت والدته التى لم تصدق أذنيها عندما سمعت صوته من إحدى حجرات المنزل فأقبلت مسرعة ... وبكل عطف الأم وحنانها تعلقت بعنقه تمطره بقبلاتها ... واستيقظ باقى الإخوة والأخوات على أصوات صيحات الفرح وأقبلوا على أخيهم يحتضنوه ويهنئونه بسلامة الوصول .. لقد كانت أسرته تتابع سير المعارك وتعلم إنها كانت معارك عنيفه شرسه كان لها الكثير من الضحايا ... لذلك فعندما شاهدوا إبنهم سليماً معافى كانت سعادتهم لاتوصف ...

واخذت الزغاريد تنطلق من منزل أسرة علوان مع إشراقة شمس ذلك اليوم على القرية الصغيرة التى بدأ أهلها يفدون على هذا المنزل لإستطلاع الأمر ... كانت فرحة أهل البلدة كبيرة بمشاهدتهم لإبن عزبتهم وقد عاد سليماً منتصراً من ميدان المعركة ... وبدأ توافد أهل البلدة فى مجموعات متتالية لتحية علوان وتهنئته على سلامته على الرغم من عدم علمهم شيئاً عن بطولته بالجبهة ... ولكن يكفيهم إنه إبن بلدتهم الذى عبر القناة وشارك فى إحراز النصر وتحقيق أملهم الذى انتظروا تحقيقه لسنوات عديدة وهو تحرير سيناء ...

وبلغ من سعادة والده بعودته سالماً أن قام بذبح عجل وأقام مأدب الغذاء ... وفرق منه على الفقراء ... وظلت مظاهر الفرح والسعادة تحيط بمنزل علوان طوال الأيام الخمسة التى قضاها فى قريته ... لم تنقطع خلالها وفود المهنئين ليلاً أو نهاراً ... وكأنهم يهنئون

قواتهم المسلحة بأجمعها متمثلة فى إبن بلدتهم الذى كان الوحيد الذى له شرف الإشتراك فى العمليات العسكرية من بينهم ...

وما لبثت الأجازة الميدانية أن إنتهت بعد أن حُمّل علوان بدفئ المشاعر، وصدق الأحاسيس فعاد إلى وحدته بالخطوط الأمامية يملؤه الفخر ... والثقة ... والعزة ... وتوالت مظاهر التكريم بعد ذلك ... وكان التكريم هذه المرة من القوات المسلحة .. عندما فوجئ علوان وهو فى موقعة بعد عودته من أجازته بأيام قليلة بمن يستدعيه .. وبالفعل ذهب علوان برفقة المقدم إلى مكتب قائد الفرقة الذى قابله ببشاشة، وذكره باليوم الذى قابله فيه عندما تمكن من إسقاط الطائرة الميراج الإسرائيلية من فوق الطائرة الميج المصرية .. ومن ملف مفتوح أمامه أخذ قائد الفرقة يسرد على علوان ما قام به من أعمال خلال المعركة قائلاً: إنت يوم كذا فعلت كذا ... ويوم كذا عملت كذا وكذا .. فوجد علوان أن هناك تقريراً وافياً عن كل ما قام به من أعمال خلال أيام المعركة .. والتى لم يكن علوان قد سجلها بهذه الدقة والترتيب لإنشغاله بأعمال القتال .. مما أعطاه إحساس إن القيادة على علم تام بكل عمل قام به واحداً من أبنائها .. ومن قيادة الفرقة أخذ يتنقل من مكان إلى آخر حتى إستقر به المقام أخيراً دون أن يعلم الهدف من وراء كل ذلك بالكلية الفنية العسكرية حيث تقابل هناك مع عدد من الضباط وضباط الصف والجنود من أسلحة مختلفة ممن قاموا بأعمال بطولية خلال العمليات العسكرية أثناء حرب أكتوبر - رمضان عام ١٩٧٣م وللمرة الأولى

يتعرف علوان على هؤلاء الزملاء عن قرب خلال إقامتهم بالفنية العسكرية ...

وعندما أكتمل وصول هذه المجموعة من الأبطال أُبلغوا أنه سوف يتم تكريمهم بمجلس الشعب فى حضور رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة المغفور له الرئيس السادات ... وحضور ممثلى الشعب وكبار قادة القوات المسلحة ... وبدأ إعدادهم لهذا الحفل وأعدت لهم حُلل عسكرية جديدة لهذا الغرض ... وأجريت بروفات على مراسم الإحتفال ...

وفى اليوم المشهود ... خرج ركب الأبطال ليسبق ركب القائد إلى بيت الشعب الذى ملئ بأعضاء مجلس الشعب ... وسار موكب الأبطال فى سيارة عسكرية تتقدمها الدراجات البخارية تشق طريقها بين شوارع القاهرة وسط تهليل المارة، وهتافهم للأبطال ... وكانت جموع الشعب فى ذلك الوقت منتظرة أمام شاشات التليفزيونات وأجهزة الراديو لسماع خطاب النصر، والتعرف على رموزه البارزة ...

وكان يوم التاسع عشر من فبراير عام ١٩٧٤ ... يوماً من أيام مصر ... المفعمة بمشاعر الحب والبهجة ... كان فيها مجلس الشعب أشبه بسرادق الأفراح إذدان بالورود ... وصدحت من فنائه الموسيقى العسكرية بأعذب ألحان المعركة مثل:

بسم الله والله أكبر بسم الله بسم الله

سينا يا سينا بسم الله بسم الله

وأدينا عدينا بسم الله بسم الله

ولحن ... خلى السلاح صاحى ... صاحى ... صاحى

ولحن ... عاش اللى قال الكلمة بحكمة فى الوقت المناسب

*****

استقرت سيارة الابطال بفناء مجلس الشعب ... ودخل علوان مع رفاق السلاح الى قاعة المجلس حيث خصص لهم الصف الثالث الأمامى فى مواجهة المنصة ... فى حين خصص الثانى لأسر الشهداء... الزوجات والأمهات ... أما الصف الأول فكان لكبار قادة الجيش الذين بدأوا فى التوافد ... وفى الخلف أمتلأت المقاعد عن آخرها بممثلى الشعب والضيوف وكذلك رجال الإعلام المحلى والعالمى ...

ووصل ركب الرئيس الذى أتى فى سيارة مكشوفة من مقر وزارة الدفاع بالعباسية حتى مجلس الشعب بشارع القصر العينى وسط حشود شعبية وهتافات التحية له وللقوات المسلحة ... أخذ الرئيس السادات مكانه على المنصة بملابسه العسكرية بعد أن صفق الحضور له

تصفيقاً حاداً طويلاً وكان معه فى ذلك الوقت الرئيس الزائيرى موبوتو، ومالبث أن حضر فجأة الرئيس معمر القذافى وأخذ موقعه على المنصة.

وفى بداية الإحتفال القى السيد حافظ بدوى رئيس مجلس الشعب كلمة حيا فيها جيش مصر جاء بها: "إنه يومٌ للتكريم بالحب والتكبير والعرفان ... لأبطالنا من الضباط والجنود والشهداء الذين رفعوا فى العالم رأسنا... وأكدوا فى الدنيا شرفنا وحقنا ... وسطروا فى العاشر من رمضان أروع صفحة فى تاريخنا ... وسجلوا ببطولاتهم الخارقة أعظم ملحمة فى تاريخنا ... وخلدوا بدمائهم الطاهرة أقدس معركة فى حياتنا... باعوا الحياة ... وعبروا القناة ... ودحروا الغزاة ...

فدوت فى ربوع سيناء ... الله اكبر ... الله اكبر ... ولاإله إلا الله ...

*****

ثم تلى تلك الكلمة كلمة الرئيس الزائيرى موبوتو والتى جاء فيها:

"إن النصر الذى أحرزه العسكريون المصريون الشجعان على قوى الإمبريالية ... أنه ليشرف افريقيا ... هذا النصر هو الذى دحض الأسطورة التى تقول إن النجاح هو دائماً الى جانب واحد ... الى جانبهم هم ... واذن فإن الاثنين والعشرين مليونا من اخوانكم فى زائير سعدوا باستقبال نجاحكم هذا ... وأنا هنا اعبر عنهم لاهنئكم بذلك ... إن مصير الشعب المصرى هو مصير شعب زائير ... وحين وضعتم نهايةً لأسطورة التفوق العنصرى الصهيونى تكونون قد عاونتم فى التقدم

بقضية الشعوب الإفريقية التى تناضل والسلاح فى أيديها ضد المستعمرين والعنصريين."

وتلى الرئيس موبوتو كلمة الرئيس القذافى التى عدد فيها فضل مصر على الأمة العربية والإسلامية على مر التاريخ وجاء بها ... "هذا واجب ثقيل وضعه القدر على كاهل مصر وتحملته جيلاً بعد جيل، ومرحلة بعد أخرى من مراحل تاريخ الأمة العربية ...

وإن ماحدث فى رمضان، وما سيحدث فى المستقبل هو تأكيد لإيمانى هذا الذى لايتزعزع وهو أن مصر دائماً هى القلعة التى تصد فى كل مرة غارات العدوان على ديار الأمة العربية وعلى حياض الإسلام... مصر دائماً هى القلعة التى لايجب ان تسقط لأنه إذا سقطت مصر تسقط العروبة ... وإذا ضعف العرب ضعف الإسلام ..." .

*****

ثم جاءت بعد ذلك كلمة الرئيس السادات ... وكانت كلمة معبرة أعلن فيها ... " إن زمن الهزيمة قد مضى، وجاءت مواكب النصر، وإن قواتنا ردت للعرب كبريائها واستردت لهم أحترام شعوب الدنيا كلها ... لقد أطلت أنوار الفجر الجديد بعد ليل طويل حالك ... فجر الحرية

والحب، والبناء ... فجر السيادة للشعب ... فجرٌ يرفع فيه كل مواطن رأسه فى كبرياء، ويحنى فيه الحاكم رأسه طاعة للشعب ...

وهذا الشعب هو صاحب الأسلحة التى حققت المعجزة ... أسلحة لم تصنع من الفولاذ فقط ... وإنما صنعت ايضاً بالإيمان والإصرار ..." وقبل أن ينهى الرئيس السادات كلمته قام بعمل حوار تاريخى على شلك إستجواب للواء أحمد بدوى قائد الجيش الثالث.

فسأل السادات اللواء بدوى ... أريد منك تقريراً عن السويس وعن قوات بدر، لكى يسمعه الشعب.

اللواء بدوى: بسم الله الرحمن الرحيم ... يشرفنى أن أقرر أمام سيادتكم أن شجاعة المقاتل المصرى، وبطولته قد برزت أثناء المعركة بشكل يدعو الى الإعجاب والتقدير ... وعندما قطع طريق الإمداد الى طريق السويس عن قوات بدر فى سيناء بعد وقف إطلاق النار لم تتأثر معنوياتنا، وظلت إرادتنا قوية، وقاتلنا وتقدمنا الى مواقع جديدة فى سيناء (تصفيق حاد) وأُحبطت محاولات العدو التى قام بها خلال أيام ٢٣، ٢٤، ٢٦ أكتوبر ١٩٧٣ لدخول مدينة السويس بتلاحم رائع بين الشعب وقواته المسلحة ... وعندما عزل عنا موقع كبريت صمد أفراده وتمسكوا به وتشبثوا بكل شبر فيه رغم

هجمات العدو المتكررة ... واستمروا فى الدفاع عن موقعهم مؤكدين عزم وتصميم الجندى المصرى بأحلى معانيهما ..."

وهنا دوت هتافات مدوية تحية للجندى المصرى تلاها تصفيق حاد ... وعقب ذلك قام الرئيس السادات بتكريم الأبطال وتمثل ذلك فى ترقية القادة .. حيث تم ترقية الفريق أول أحمد إسماعيل على وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة الى رتبة المشير .. وترقية اللواء محمد عبدالغنى الجمسى رئيس أركان حرب القوات المسلحة إلى رتبة الفريق .. كما تم ايضا ترقية قادة الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة الى رتبة الفريق وهم:

- اللواء محمد على فهمى قائد قوات الدفاع الجوى.
- اللواء طيار محمد حسنى مبارك قائد القوات الجوية.
- الفريق وفتى بحرى فؤاد محمد أحمد ذكرى قائد القوات البحرية.

وقام الرئيس السادات وضيوفه بتعليق الرتب الجديدة وتسليم براءة الرتبة بعدما نزلوا من المنصة ... ثم تم منح أوسمة ونياشين لعدد من القادة والضباط وضباط الصف والجنود تقديراً لما قاموا به من أعمال استثنائية تدل على التضحية والشجاعة والتفانى فى الفداء فى مواجهة العدو وكان وسام نجمة سيناء هو أعلى هذه الأوسمة العسكرية وتم منحه لعدد ٥٤ ضابطاً وصف ضابط وجندى منهم ٢٥ شهيد وتم تسليم هذه الاوسمة لهؤلاء الأبطال، وأُسر الشهداء ... وقد جاء بطلنا علوان فى نهاية هؤلاء المكرمين حسب ترتيب الأقدمية حيث كانت

درجته العسكرية "جندى" وكانت سعادته بالغة وهويصافح رئيس الجمهورية الذى قام بتعليق وسام نجمة سيناء على صدره فكان ذلك تكريما مضاعفاً له ... وفى نفس الوقت قام القذافى بمنح هؤلاء الأبطال وسام الشجاعة الليبى.

*****

بسم الله الرحمن الرحيم

أنور السادات

من أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية

إلى الجندي محمد رمضان عبده علوان ، من القوات المسلحة

الدفاع الجوي

تقديراً للأعمال البطولية التي قمتم بها في حرب العاشر

من رمضان ١٣٩٣

نمنحكم وسام نجمة سيناء من الطبقة الثانية.

وأمرنا بصدور هذه البراءة إيذاناً بذلك.

تحريراً بقصر الجمهورية بالقاهرة في اليوم الرابع والعشرين من شهر المحرم

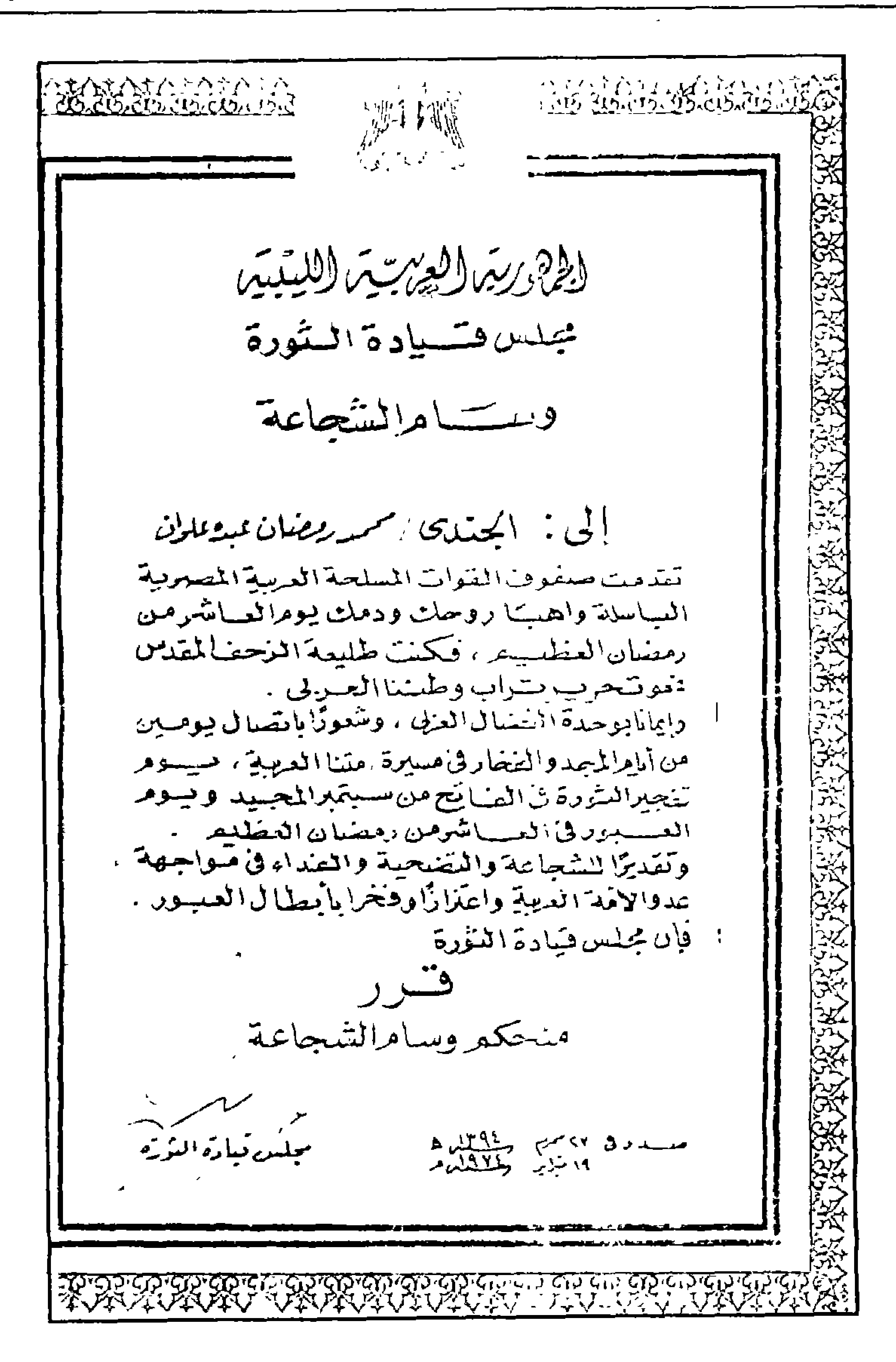
سنة ألف وثلاثمائة وأربع وتسعين من هجرة خاتم المرسلين

١٩ فبراير ١٩٧٤

رئيس

ديوان رئيس الجمهورية

براءة وسام نجمة سيناء



الجمهورية العربية الليبية
مجلس قيادة الثورة
وسام الشجاعة

إلى : الجندي / محمد رمضان عبده علوان

تقدمت صفوف القوات المسلحة العربية المصرية الباسلة واهبا روحك ودمك يوم العاشر من رمضان العظيم ، فكنت طليعة الزحف المقدس نحو تحرير تراب وطننا العربي .

وإيمانا بوحدة النضال العربي ، وشعورا باتصال يومين من أيام المجد والفخار في مسيرة أمتنا العربية ، يوم تفجير الثورة في الفاتح من سبتمبر المجيد ويوم العبور في العاشر من رمضان العظيم .

وتقديرا للشجاعة والتضحية والفداء في مواجهة عدو الأمة العربية واعتزازا وفخرا بأبطال العبور .

فإن مجلس قيادة الثورة

قرر

منحكم وسام الشجاعة

صدر في ٢٢ محرم ١٣٩٤ هـ
١٩ فبراير ١٩٧٤ م

مجلس قيادة الثورة

براءة وسام الشجاعة الليبي

كان لتكريم علوان إبن محافظـة البحيرة بمجلس الشعب صداه الطيب بين أهل بلدته وزملائه ومعارفه الذين لم يسبق لهم معرفة بطولته ... ومرة أخرى توافد أهل القرية لتهنئة إبن عزبة مـارون وجميـع أفـراد أسرته وقد أختلفت وسائل التعبير عن الفرحة ... ومنها هـذه التهنئـة من أحد أصدقاء والده والتى نظمها بفن الزجل حيث قال:

إلى المقاتل البطل نجلنا العزيز

رمضان عبده علوان

ألفين مبارك يارمضــــان		تحية لك ولأهل مـــــــارون

وقول لأبوك عبده علوان		الريف خلاص أصبح موزون

بعزم أبطاله الشجعــــان		همًّا اللى ذلّوا شباب صهيون

والنصر جالنا علو إيديهم

يحق له يدبح عجليــــــن		ويبحبح الصُرة شويــــة

ويرش ع الأحباب قرشين		م الفرحة ويجيب عربيـة

ويبنى فى العزبة قصرين		والباقى بالطبع علــــىَّ

هنى الحبايب واهديهم

أغلا تهانى قلبيـــــــة م أسكندرية والأحبـــاب

يا اللى مقامكم ف عنيَّه وتَمَـلّى بينى وبينكو عتاب

نبأ البطولة الوطنيـــــة من فرحتى رجعّنى شباب

وأولادنا نفتخر بيهم

مبروك وسام نجمة سينـا وإحنا النهارده ف أكبر عيد

والناس بتيجى تهنينـــــا لأنه إبن العلية أكيـــــــد

رمضان بطل غالى علينا عقبال ما أشوفه وهوّ عميـد

وأجى لجنوده وأهنيهم

عمك السيد عبدالغنى شطا

****

كما لم تنسى كتيبته أن تقيم له إحتفالاً خاصاً بعد إحتفـال مجلـس الشعب لتهنئته بحصوله على هذا الوسام الرفيع المستوى وذلك بمقر قيادة الكتيبة ... وعندما أعطيت الكلمـة لعلوان ذكـر أن هـذا الوسـام إنمـا هـو

على صدر كتيبته في المقام الاول، وأيضا وساماً على صدر القوات المسلحة المصرية.

*****

أما التكريم الآخر الكبير والذى سيظل عالقاً فى ذاكرة علوان طوال حياته فكان عندما دعُىً لمرافقة الرئيس السادات مع بعض أبطال أكتوبر أثناء حفل إفتتاح قناة السويس للملاحة العالمية يوم الخامس من يونيو عام ١٩٧٥ بعد إغلاق دام ثمان سنوات ...

ويومها أرتدى علوان الزى العسكرى بعد ما يقرب من عام من تركه الخدمة العسكرية وصعد فوق ظهر المدمرة ٦ اكتوبر مع بعض أبطال حرب أكتوبر ليحيطوا بالرئيس السادات اثناء مرور السفينة بالقناة ويومها أستقلوا السفينة من بورسعيد وسط مظاهر إحتفال شعبى تدل على الفرحة الغامرة ... وبطء شديد أبحرت المدمرة تطلق نفيرها إبتهاجاً بهذه المناسبة وعلى ضفتى القناة الشرقية والغربية ترتفع أعلام مصر فوق قواتنا المسلحة معلنة للعالم سلامة الملاحة بالقناة بعد تطهيرها ...

وأخذت الذكريات تدور برأس علوان من فوق ظهر السفينة وتذكر تلك السنوات الصعبة التى قضاها على الضفة الغربية منتظر اليوم الذى تلمس فيه قدماه الشاطئ الآخر ... وها هى قواتنا منتشرة فى سيناء مرفوعة الأعلام .. وحينئذ تردد فى أذنيه صدى المقولة الشمهورة

للرئيس الراحل جمال عبد الناصر "إن ما أخذ بالقوة ... لا يسترد بغير القوة".

تناول علوان طعام الغذاء على مائدة الرئيس السادت مع أخوانه من أبناءالقوات المسلحة وكان معهم ضيف الرئيس السادات الأمير رضا بهلوى ولى عهد إيران ... أستغرقت تلك الرحلة ما يزيد عن الأربع ساعات منذ تحركت من بورسعيد فى الساعة الحادية عشر والنصف حتى وصلت الى مدينة الإسماعيلية قبيل المغرب حيث أقيم لهم إحتفالاً شعبياً علقت أثنائه أقواس النصر فى الشوارع والميادين فى ذلك اليوم الذى أختاره السادت بذكاء ليكون يوم احتفال بدلاً أن يكون ذكرى للهزيمة والعار ...

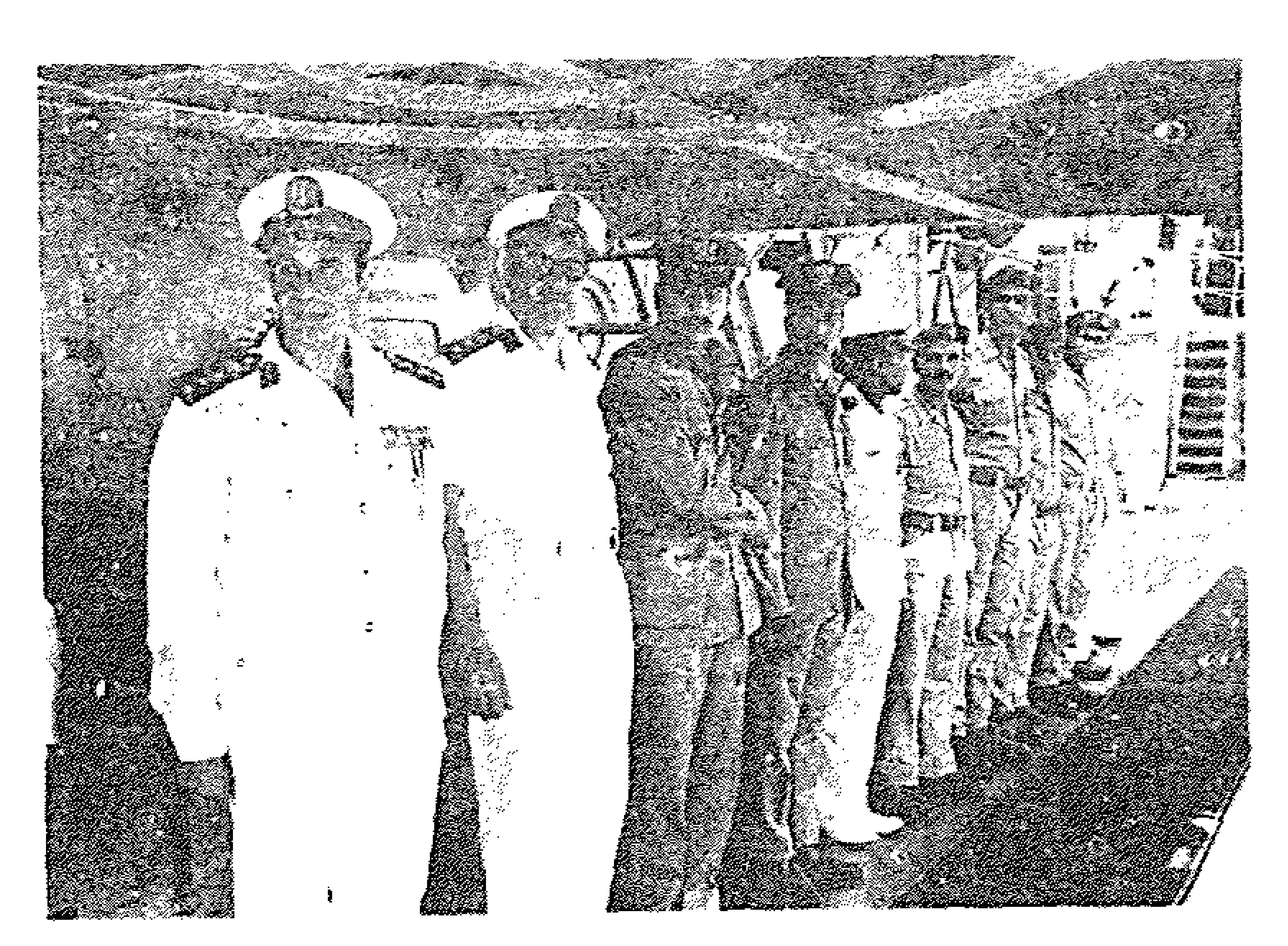
ولم يتوقف تكريم علوان حتى الآن سواء فى عمله المدنى أوعلى مستوى القوات المسلحة حينما يذكر فى مناسبات حرب أكتوبر كواحد من الأبطال البارزين المخلصين لوطنهم ...

*****



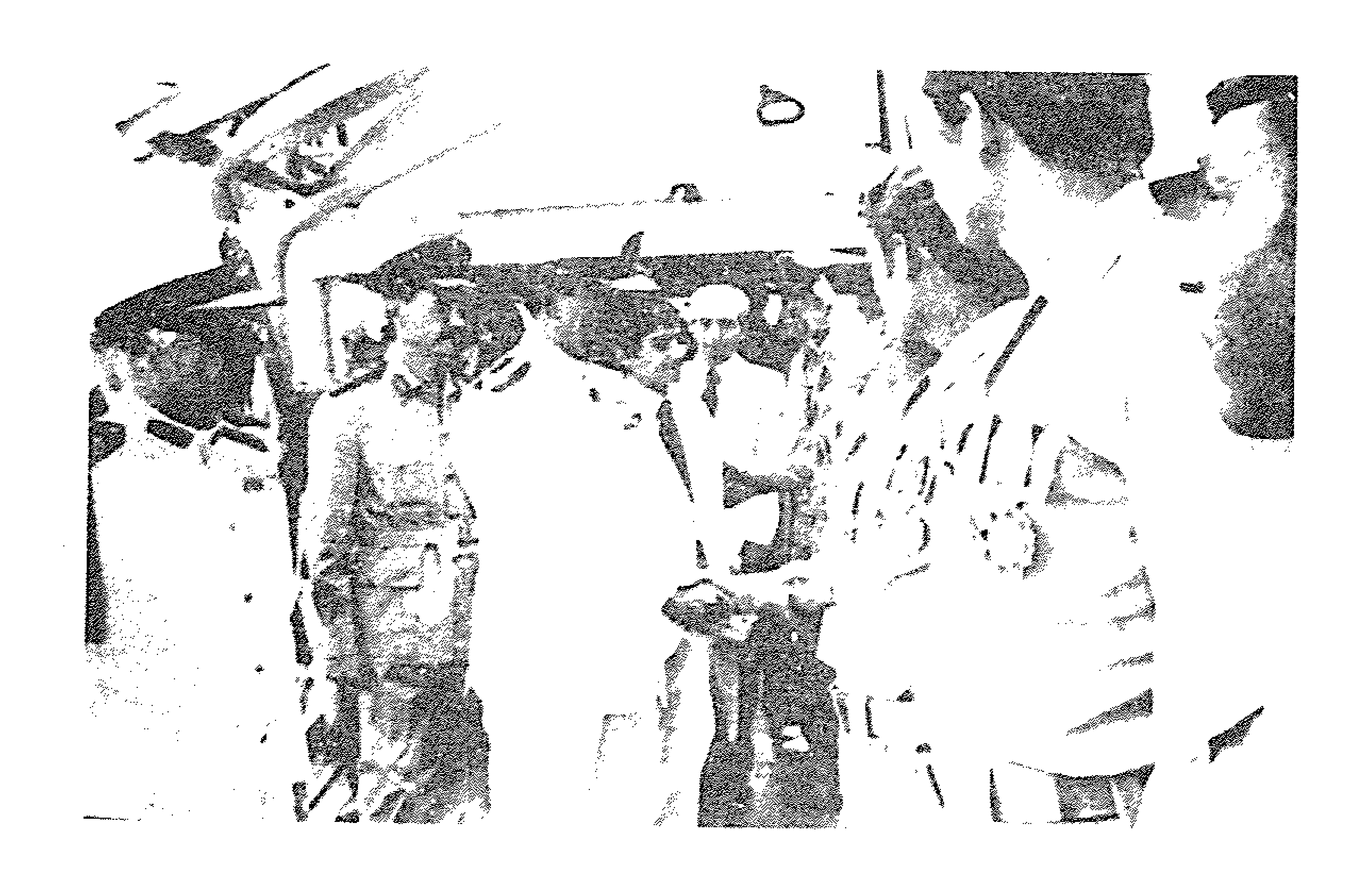
في قاعة مجلس الشعب

علوان أول العسكرين بالصف الثالث من على اليمين "حيث يشير السهم" ويلاحظ الرئيس مبارك يتوسط القادة بالصف الأول



"علوان الأول على اليمين"

فوق ظهر المدمرة ٦ أكتوبر في إفتتاح قناة السويس





"علوان الأول على اليمين

فوق ظهر المدمرة ٦ أكتوبر في إفتتاح قناة السويس

الفصل التاسع

علوان
والحياة المدنية

بالرغم

من ترك علوان الخدمة العسكرية

إلا إنه لايزال متأثراً بها فى كل تصرفاته

وأفعاله .. وليس أدل على ذلك من أنه قرر أن يكون عقد قرآنه يوم السادس من أكتوبر ..

ولا يزال على صلة برفقاء السلاح

مع مرور ربع قرن

على المعركة

كان يوماً مؤثراً .. ذلك اليوم الذى ترك فيه علوان الخدمة العسكرية فى الأول من سبتمبر عام ١٩٧٤ بعد أن أمضى بالجيش حوالى خمس أعوام فى مرحلة من أهم وأخطر المراحل التى مرت بها مصر فى عصرها الحديث ... فى ذلك اليوم كان علوان ضمن دفعة كبيرة العدد ... أُحتفل بهم إحتفالاً يليق بما أدوه من أعمال جليلة للوطن... وقُدمت لهم الهدايا التذكارية وشهادات التقدير التى تسلمها من قائد كتيبته ...

وتخلل الإحتفال كلمات مؤثرة تدل على مدى إعتزاز القوات المسلحة بأبنائها الذين خاضوا معها اشرف المعارك ... وفى الوقت نفسه تدل على مدى إستعداد أبناء القوات المسلحة للبذل والفداء والتضحية إذا دعى الداع ...

وإنتقل علوان من حياة العسكرية إلى حياة المدنية بعدما صقلته العسكرية وغرست داخله صفات أبرزها التضحية ... والفداء ... والإيثار ... إلى جانب الإلتزام، والدقة، وسرعة إتخاذ القرار ... والتواضع والوفاء ويجد علوان دائماً يذكر فضل الجيش عليه فى كل أحواله ... فيذكر أن الجيش هو الذى تلقى منه طلب التوظف وقام بالفعل بإلحاقة بهيئة تعمير الصحارى التابعة لوزارة إستصلاح الأراضى عقب تسريحه ...

وقد جاء تعينه بديوان عام محافظة البحيرة بدمنهور ... وقد أستقبله يومها المحافظ اللواء/ عبدالحليم حتاته وبناء على إتصال تلقاه من الأستاذ حسن كامل رئيس ديوان رئيس الجمهورية فقد أقام المحافظ إحتفالاً له كأبن بار من أبناء محافظة البحيرة وبعد مدة ألحقه المحافظ للعمل بمجلس مدينة كفر الدوار منذ عام ١٩٧٥ والتى لايزال بها حتى الآن ...

وتولى علوان مهمته كمشرف زراعى مسئول عن حدائق المدينة فكان مطلوب منه أن يُجمل وينسق وجه هذه المدينة الصناعية الكبرى كما شارك من قبل فى عملية تجميل وجه مصر وكل العرب ...

وعندما استقرت اموره وأطمأن على إنتصار بلده فكر فى الإرتباط بشريكة الحياة ... وبالفعل رشح له الأهل إحدى بنات عائلات محافظة الشرقية والتى توسموا فيها الخلق والتدين ... وبالفعل بدأ علوان الإعداد لهذه المناسبة وهو يضع نصب عينيه يوم السادس من أكتوبر ذكرى إنتصار الجيش المصرى عام ١٩٧٣ ليكون هو يوم زفافة على عروسه عام ١٩٧٥ ...

ولكن حالت ظروف خارجه عن إرادته لتحقيق هذه الأمنية فى ذلك التوقيت ... وذلك لحدوث حالة وفاة لأحد أقاربه وكان يقطن فى شقة مجاورة لشقة علوان التى يعدها للزوجية ... فمشاركة من علوان فى مشاعر الحزن والأسى التى تمر بها أسرة المتوفى ...

إنتظر علوان لما بعد مرور الأربعين ... وتم عقد القران يوم ١٩ أكتوبر ١٩٧٥ وتشاء الظروف أن يوافق يوم ١٩ أكتوبر ايضاً ذكرى تاريخ تجنيده بالقوات المسلحة ... وكانت ليلة حافلة حضرها أصدقاء علوان وخاصة من شاركوه الحياه العسكرية ...

وفى تلك الليلة علق علوان على صدره فوق ملابسه الميدانية كأعز وأغلى ما يملك "وسام نجمة سيناء" ... وكانت زوجته السيدة أمال محمود ابراهيم مجاهد ولاتزال مثال للزوجة الوفية التى وجدت فى زوجها كل الصفات الطيبة التى صقلتها فيه الحياة العسكرية ... وسار بهما قطار الحياة ... ورزقها الله بالذرية الصالحة ونشأ الأبناء وترعرعوا وكان أول ما وعوا عليه ... أخبار بطولة والدهم فى ساحة الشرف ... والتى كثيراً ما سمعوها فى كثير من المناسبات وشاهدوا صور والدهم بزيه العسكرى يصافح فى بعضها رئيس الجمهورية، وفى البعض الآخر يجلس بين كبار قادة الجيش أثناء تكريمه بمجلس الشعب، وصورة أخرى يزين صدره فيها وسام نجمة سيناء أعلى وسام عسكرى بمصر ...

كان لما سمعه الأبناء عن بطولة والدهم أكبر الأثر فى تشبعهم بحب الجندية ... والإستعداد للفداء ... وحب البطولة ... وقد أثمر ذلك عن عقد الإبن الأكبر حسام وهو من مواليد ١٩٧٦/١١/٦ العزم على الألتحاق بسلك العسكرية ... وبالفعل ما كاد يحصل على الثانوية العامة

إلا وتقدم للإلتحاق بالكلية الحربية .. وقد عرف أساتذته بالكلية وزملائه أنه إبن أحد أبطال سيناء فكان يحلو لهم أن ينادونه بـ "نجمة سيناء" ...

وكان يسعده هذا اللقب فهو يأمل ويتمنى الحصول على مثل هذا الوسام الذى حصل عليه الجندى المصرى بقوة الإرادة والعزيمة التي عوضت الفارق فى كفاءة السلاح بينه وبين عدوه ... ويرى حسام أن السلاح ما هو إلا جماد وعلى قدرة كفاءة وعزيمة الجندى المستعمل له تتوقف كفاءة هذا السلاح .. ويهوى حسام القراءة بوجه عام في كافة المجالات علمية كانت أو أدبية ... إلى جانب دراسة اللغات وخاصة اللغة الإنجليزية ... ونترك حسام يستعد لحفل تخرجه من الكلية الحربية ليصبح ضابطاً عاملاً فى تشكيلات القوات المسلحة ليستمر التواصل والأمتداد بين الأب والأبن ليتحمل مسئوليته في الدفاع عن حدود بلاده والزود عن عرضها وشرفها ...

لنلتقى مع إبن ثان من أبناء البطل علوان ... ألا وهو إيهاب ... وهو من مواليد ١٩٧٧/١٢/٩ وحالياً طالب بالثانوية العامة بمدرسة صلاح سالم بكفر الدوار وهى واحدة من كبريات المدارس بالمحافظة من حيث المساحة أو عدد المعلمين ... ويتذكر إيهاب تلك الأيام التى كان يعانى فيها الوالد ويتكبد الكثير من المشقة أثناء الدراسة لكى يرتقى إلى الأفضل أما فى هذه الأيام أصبح التعليم ميسراً لإنتشار المدارس وتحسن طرق المواصلات إلى الجامعات، وكما دخلت المياه النقية والكهرباء الى القرى مما يسر العملية التعليمية ...

ويهوى إيهاب لعب كرة القدم في مركز الدفاع، كما يهوى الكومبيوتر واجتاز فيه عدة دورات ... ويحب أيضاً الرحلات إلى أماكن جديدة لم يكن زارها من قبل ... ويرى إيهاب إن ما حققه والده يعد معجزة عسكرية يرجع الفضل فيها لتوفيق اللـه أولاً ثم قوة الإرادة والعزيمة والشجاعة والتصميم من جانب والده بعد ذلك ...

ويتذكر إيهاب يوم زار بنوراما حرب أكتوبر بالقاهرة للمرة الأولى ضمن رحلة قامت بها مدرسته الثانوية وهناك داخل الصالة المغطاة شاهد لوحة تذكارية تحمل أسماء الحاصلين على وسام نجمة سيناء مرتبة حسب الرتب والدرجات العسكرية للحاصلين عليها ويأتى فى أخرها إسم والده "**جندى محمد رمضان عبده علوان**" فتجمع أصدقاؤه حوله يشاهدون تلك اللوحة وبلغ الأمر لمدير البانوراما العقيد بدر محمد فتحى الذى حضر للترحيب بالرحلة وتحية إبن البطل علوان وأمر برد قيمةالتذاكر لجميع أفراد الرحلة إكراما لهذا البطل ... ويعد إيهاب نفسه عقب الحصول على الثانوية العامة للألتحاق بكلية الشرطة ...

إما الإبن الثالث محمد فهو من مواليد ١٩٨٣/٨/١٩ وهو طالب بالصف الثانى من المرحلة الإعدادية ... بمدرسة بورسعيد الإعدادية بكفر الدوار ... وهو بحق بطل رياضى فى رياضة المصارعة الرومانية فمن خلال إشتراكه فى ٤ بطولات متتالية على مستوى محافظة البحيرة أحرز ٤ مراكز متقدمه ففى أول بطولة يشارك فيها فى نهاية عام ١٩٩٣

أحرز المركز الرابع تحت ١٢ سنة فى وزن ٤٥ كجم وفى البطولة الثانية أوائل عام ١٩٩٤ أحرز المركز الثانى فى وزن ٥٠ كجم.

أما فى البطولة الثالثة أواخر عام ١٩٩٤ أحرز المركز الثالث فى وزن ٦٥ كجم.

أما فى البطولة الرابعة له أوائل عام ١٩٩٥ أحرز المركز الأول فى وزن٦٥ كجم.

وهو الآن يعد نفسه لرياضة أخرى جديدة وهى "كمال الأجسام" ومثله الأعلى فى كل ما يقوم به من أعمال هو والده الذى يعتبر رمز من رموز البطولة فى مصر مما يشعره بالإعزاز والفخار بين زملائه ومدرسيه بالمدرسة، وكذلك بين مشجعيه ومنافسيه فى النادى ...

ويأمل محمد أن يصبح مهندساً فى الكومبيوتر لأن الكومبيوتر من وجهة نظره هو لغة العصر ... ويتعشم أن تتاح له فرصة السفر للخارج وبالذات الى المانيا لما تتمتع به من تكنولوجيا وتفوق كبيرين ...

أما آخر العنقود سامح فهو كتلة مشتعله من الذكاء والحركة وحب الإستطلاع إنه يحمل كل صفات والده عندما كان فى مثل عمره ... وسامح من مواليد ١٠/٧/١٩٨٩ ... طالب بالصف الثانى من المرحلة الإبتدائية بمدرسة الآباء الفرنسسكان الإبتدائية بكفر الدوار ... يهوى ممارسة لعبة كرة القدم ومشاهدة برامج التليفزيون ومثله المفضل الفنان إسماعيل ياسين ... كما تستهويه أفلام الكرتون بما تحويه من

مغامرات وبطولات ولكنه كان يتمنى لو أنتج التليفزيون أفلاماً لبطولات مصرية ... وهى كثيرة لاتعد ولا تحصى ... وسامح سعيد بما سمعه من بطولات عن والده ويتمنى أن يكون مثله ... لذلك فهو يود أن يكون ضابطاً بالقوات المسلحة للدفاع عن ارض مصر وأهلها ...

أما الأم فهى تقف خلف أبنائها ترعاهم وتشملهم بعطفها ... ولا يتملكها أى قلق من إتجاه أبنائها للسلك العسكرى فهى لاتقل عنهم وطنية وحب لوطنها وفخاراً بزوجها البطل ...

*****

وبالرغم من طول المدة التى إنقضت منذ ترك علوان الخدمة العسكرية والتى تزيد عن الثلاثة والعشرون عاماً فإن علاقته بالجيش أبداً لم تنقطع ...

وعندما تسنح له فرصة الحديث عنها فإنه يذكر تلك الأيام بكل الخير فبالرغم من شدة الضغط العصبى الذى كان يقع على كاهل الجنود وهم منتظرين فى خنادقهم العام تلو العام ... وليس فى الأفق موعد محدد لمعركة الثأر إلا أن حسن معاملة أخوانهم الضباط والقادة لهم ومشاركتهم لهم خنادقهم وطعامهم ونفس الظروف كان يخفف عنهم ... وأثناء العمليات لم يكن هناك فارقاً بين جندى، أو ضابط، أو حتى قائد لواء أو قائد فرقة ...

فها هو القائد ينزل اثناء العمليات والغارات الجوية العنيفة بخندق علوان يشد من أزره ويقوى عزيمته ويصافحه مهنئناً على إنجازه عندما أسقط الطائرة الميراج الإسرائيلية من فوق الميج المصرية ... ويذكر علوان قواته المسلحة بكل الإمتنان على تكريمها له بمنحه وسام نجمة سيناء وما يستتبعه من مزايا مادية ...

وهم الذين قاموا بتعينه بوظيفته المدنية حتى قبل أن يترك الخدمة العسكرية بحيث لم ينتظر ولم تمضى فترة زمنية بين تركه الخدمة العسكرية الى تحمل مسئوليته والخدمة الوطنية لذلك فعلوان يتعامل مع كل أعماله المدنية بنفس حماسه وتعامله مع الأهداف العسكرية من حيث الإلتزام والتواجد فى المكان المناسب فى الوقت المناسب، والتعامل مع كل موضوع بما يناسبه ... أما عن رفاق السلاح فعلاقته بهم دائمة لا تنقطع بدءاً من قائد قوات الدفاع الجوى فى حرب أكتوبر ٧٣ الفريق محمد على فهمى والذى أولى علوان كل العطف والرعاية ... ويزوره علوان بين الوقت والآخر تلك الزيارة التى تترك فى نفسه شعوراً بالسكينة والإطمئنان لما يتمتع به ذلك القائد العظيم من صفاة طيبة كالتواضع والثقة بالنفس وسعة الأفق والصدر ... ويكفى إنه صاحب حائط الصواريخ المصرى الشهير أثناء حرب الإستنزاف ...

والذى كسرت صواريخه ذراع إسرائيل الطويلة أثناء المعركة... وكان هذا الحائط مكوناً من صواريخ سام السوفيتية الصنع.. أما صاروخ سام ٧ أو الأسترلا وهو تسليح بطلنا علوان فكان فى ذلك

الوقت أحدث صواريخ تلك المنظومة وكان مفاجأة للطيران الإسرائيلى فى حرب السادس من أكتوبر لسهولة حمله على الكتف مما يكفل له حرية المناورة والتخفى عن أعين الطيران المهاجم وهو يتعامل مع الطيران المنخفض جداً وحتى إرتفاع ٣ كيلو مترات ...

ونتيجة للجهد الذى بذله قائد قوات الدفاع الجوى قبل وأثناء حرب أكتوبر أن انتزع الإحترام والإعجاب بإنجازاته من المدارس العسكرية بالخارج وهذا ما دعى الرئيس السادات أن يقول عنه: "لدينا الخبير الأول فى حرب الصورايخ الإلكترونية".

ومازالت صلة علوان لم تنقطع بباقى أبطال اكتوبر فاتصالاته ومقابلاته لاتنقطع بزميله وشريك خندقة كمال مصطفى إبن محافظة الفيوم .. وكذلك مع عبد العاطى صائد الدبابات بمحافظة الشرقية وهناك معرفة وثيقة بين أسرتيهما .. وأيضا مع بطل نقطة كبريت ابراهيم السكرى إبن مدينة طنطا بمحافظة الغربية .. وغيرهم من هؤلاء الأبطال

وقد تصادف حضورى عند علوان بمنزله الريفى بمسقط رأسه بعزبة مارون بمحافظة البحيرة أثناء إعداد هذا الكتاب حضور بعض أصدقاءه من بينهم بعض قدامى العسكريين منهم العميد كمال مكى الذى يشغل حالياً منصب نائب رئيس مجلس مدينة كفر الدوار والذى أخذ يتذكر ذكريات تلك الفترة الغالية من حياة مصر فيتذكر وقت أن كان ضابطاً صغيراً برتبة ملازم أول عام ٦٨ بسلاح الدفاع الجوى ومسؤلاً

عن تأمين قاعدة بلبيس الجوية بالمدفعية المضادة للطائرات وكـان قـائد القاعدة فى ذلك الوقت وهو العميد شاكر عبد المنعم فى الوقت الذى كـان فيه الرئيس مبارك فى ذلك الوقت برتبة العقيد ويقود أحد ألوية القاذفـات المصرية بهذه القاعدة ... وقد سنحت الفرصة للضابط كمال مكى لمقابلة العقيد حسنى مبارك أثناء إحدى المشكلات الإدراية البسيطة ... والتـى أظهر فيها مبارك تفهماً لأبعاد المشكلة وقام بحلها بسياسته المعهودة ...

لم يتوقف عطاء علوان وعائلته للقوات المسلحة ... فـإن كـان علوان قد ترك الخدمة بعد أن أدى دوره البطولى ... فهناك من عائلتـه من واصل تلك الرسالة فها هو عابد إسماعيل عبده علـوان إبـن أخـو علوان قد شارك القوات المصرية فى حرب تحرير الكويت ضمن قـوات المشاة تحقيقا لدور مصر الدائم فىالتصدى لأى عدوان ومساندة المظلـوم ضد الظالم.

*****

نترك علوان يشرب كوب الشاى فى شرفة منزله الريفى وهـو يرنو ببصره أمامه فى الأراضى الزراعية الخضراء المنبسطة ويسـرح بخياله إلى المدمرة ٦ أكتوبر وهى تشق طريقها فى قناة السـويس فـى الخامس من يونيو عام ١٩٧٥ إيذانا بعودة القناة للملاحة ويطن فى أذنيـه ذلك الحوار الذى دار بينه وبين الرئيس الراحل أنور السادات فوق ظـهر المدمرة أثناء مصافحة الرئيس له وهو يقف بين زملائه من أبطال أكتوبر تكريما لهم فى هذه المناسبة فى وجود وسائل الإعلام ..

علوان: (وهو يصافح الرئيس بعد أن أدى التحية العسكرية) محمد رمضان عبده علوان من قوات الدفاع الجوى يا أفندم.

= السادات: إنت منين يا محمد؟

= علوان: من البحيرة يا أفندم .. من عزبة مارون مركز كفر الدوار.

= السادات: والدك بيشتغل إيه يا محمد؟

= علوان: مزارع يا أفندم.

= السادات: يعنى فلاح يا محمد

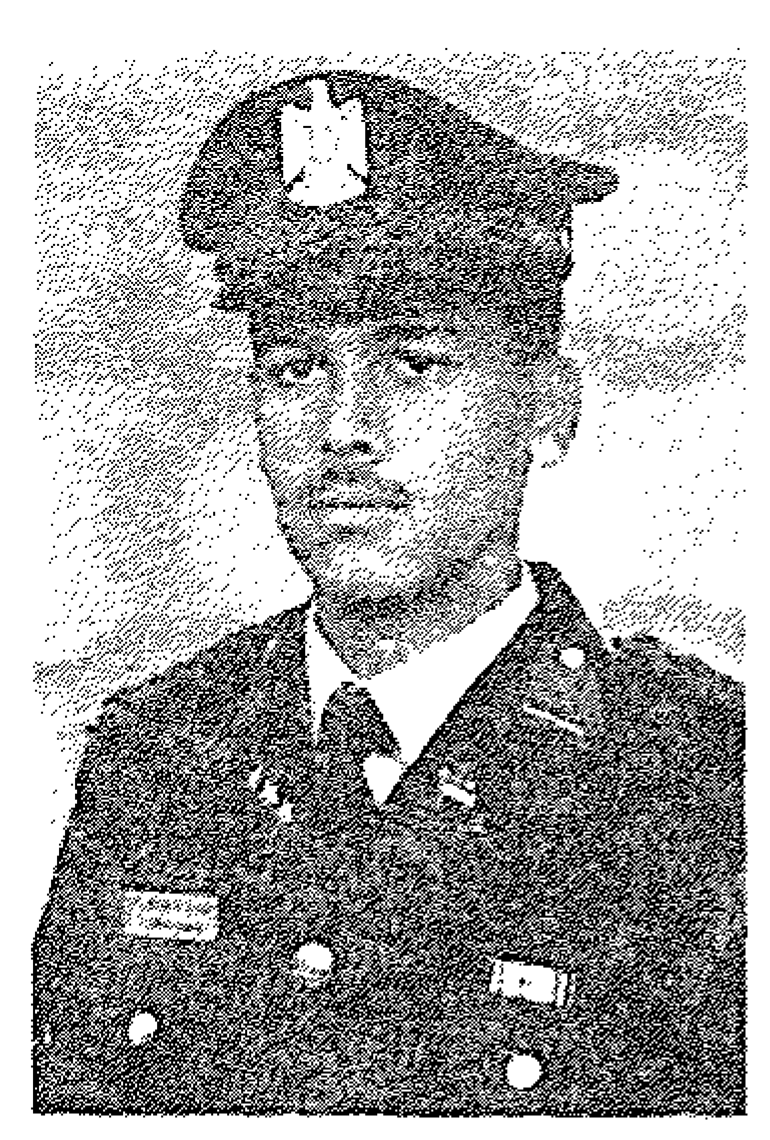
= علوان: أيوه يا أفندم.

= السادات: (لمن حوله) همَّ دول ولادنا الفلاحين ... اللى عندهم الوفاء لبلدهم والصمود أمام أشد الصعاب .. (ثم لعلوان) إنت كنت بتشتغل إيه يا محمد؟

= علوان: أنا يا أفندم لم أعمل بعد دراستى إلا بإنضمامى لصفوف القوات المسلحة عقب حرب ٦٧ لما كان كل واحد فى مصر بيقول عايزين نروح الجيش علشان نحارب اسرائيل ...



أسرة علوان



تواصل الأجيال

حسام علوان الابن الاكبر طالب بالكلية الحربية



علوان مستندا على جزء من حطام طائرة سكاى هوك

للعدو بجوار المؤلف



علوان مع المؤلف

اسفل احدى مقاتلاتنا التى شاركت فى حرب أكتوبر ٧٣



"علوان" وتأمل عميق

الخاتمة

خاتمة

وبعد كانت تلك سيرة أحد الأبطال فى حرب السادس من أكتوبر... العاشر من رمضان من عام ١٩٧٣م والذى أخلص لوطنه... فلم ولن ينساه وطنه ... ويعد علوان أحد النماذج المشرفة للعسكرية المصرية بما حققه من إنجاز تاريخى لم يسبقه إليه جندى فى أى بقعه فى العالم وقل أن يحطم رقمه جندى آخر .. بتدميره وإسقاطه ٧ طائرات للعدو وإصابة طائرتين أخرتين .. وأسر طيارين للعدو ..

فتحيةٌ من الأعماق لهذا البطل الشجاع ..

المؤلف

كى لا ننسى

كى لا ننسى:

لاتزال إسرائيل رغم معاهدات السلام المتعددة التى أبرمتها مع معظم أطراف الصراع فى المنطقة تُكدس الأسلحة بترساناتها العسكرية بصورة مبالغ فيها .. وهى طبقاً لما هو معلن فى كتاب الميزان العسكرى العالمى لعامى ٩٤-٩٥ الصادر من معهد الدراسات الإستراتيجية الصادر فى لندن تضم:

* ١٧٢ ألفاً من القوات النظامية.
* ٤٣٠ ألفاً من القوات الإحتياطية
* ١٠٠ رأس نووية مركبة على صورايخ أريحا-١ والتى يصل مداها إلى ٥٠٠كم، وأريحا-٢ ويصل مداها إلى ١٥٠٠ كم وإن كانت هناك مصادر أخرى ترى إنها تمتلك ٢٠٠ رأس نووية.

القوات البرية مؤلفة من:

* عدد ٣ أقاليم
* عدد ٣ فصائل قيادة
* عدد ٣ فرق مدرعة وميكانيكية
* عدد ٤ فرق ميكانيكية ومظلات
* عدد ١ فرقة صواريخ لانس برؤوس نووية.

* عدد 9 فرق إحتياطية ميكانيكية مدرعة.
* عدد 1 فرقة إحتياطية منقولة جواً.
* عدد 10 فرق إحتياطية للأقاليم
* عدد 4 ألوية مدفعية
* عدد 3895 دبابة طراز سنتورين، وإم 60 إيه1 وإم 60 إيه 3، وتى 60، وميركافا.
* عدد 600 قطعة مدفعية مقطورة كافة الأعيرة من 12مم و150مم وحتى 203مم.

أمّا القوات الجوية فتتألف من:

* عدد 32 ألف مجند منهم 21 ألف و 800 من النظاميين.

ولديها 13 سرباً من المقاتلات مؤلفة من:

* عدد 478 طائرة من انواع إف15، إف16، إف 4
* عدد 117 طائرة هليوكوبتر مقاتلة.
* عدد 250 طائرة أخرى مخزنة فى أماكن سرية.

أما القوات البحرية مؤلفة من:

* عدد ١٠ الآف من القوات البحرية الاحتياطية بقواعد بحرية فى حيفا، وأشدود، وايلات.

* عدد ٣ غواصات من طراز نيكرز البريطانية مجهزة بطرابيد MK، وصواريخ هاربون.

* عدد ١ فرقاطة من طراز كورفيت.

* عدد ١٩ زورق صواريخ من أنواع فرنسية، وبريطانية وإسرائيلية.

- بالاضافة إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية قد قامت بتزويد إسرائيل خلال حرب "عاصفة الصحراء" ببطاريات من صواريخ باتريوت المضادة للصواريخ أرض- أرض مثل سكود كما أن إسرائيل تطور منظومة صاروخية مضادة للصواريخ أيضاً من طراز "حيتس - السهم" بمعاونة تكنولوجية ومادية أمريكية تستهدف إقامة حائط من هذه الصواريخ لإيقاف مخاطر الصورايخ الباليستية التى توجد لدى العديد من جيرانها.

- وقُعت مذكرة للتفاهم (أمريكية - إسرائيلية) فى مايو ١٩٨٦ حددت موافقة الولايات المتحدة على اشتراك اسرائيل فى الأبحاث

الخاصة بمشروع الدفاع الإستراتيجى "حرب الكواكب" التى تتيح لها الإتصال والقيادة عبر الأقمار الصناعية والحرب الإلكترونية، وأسلحة الليزر.

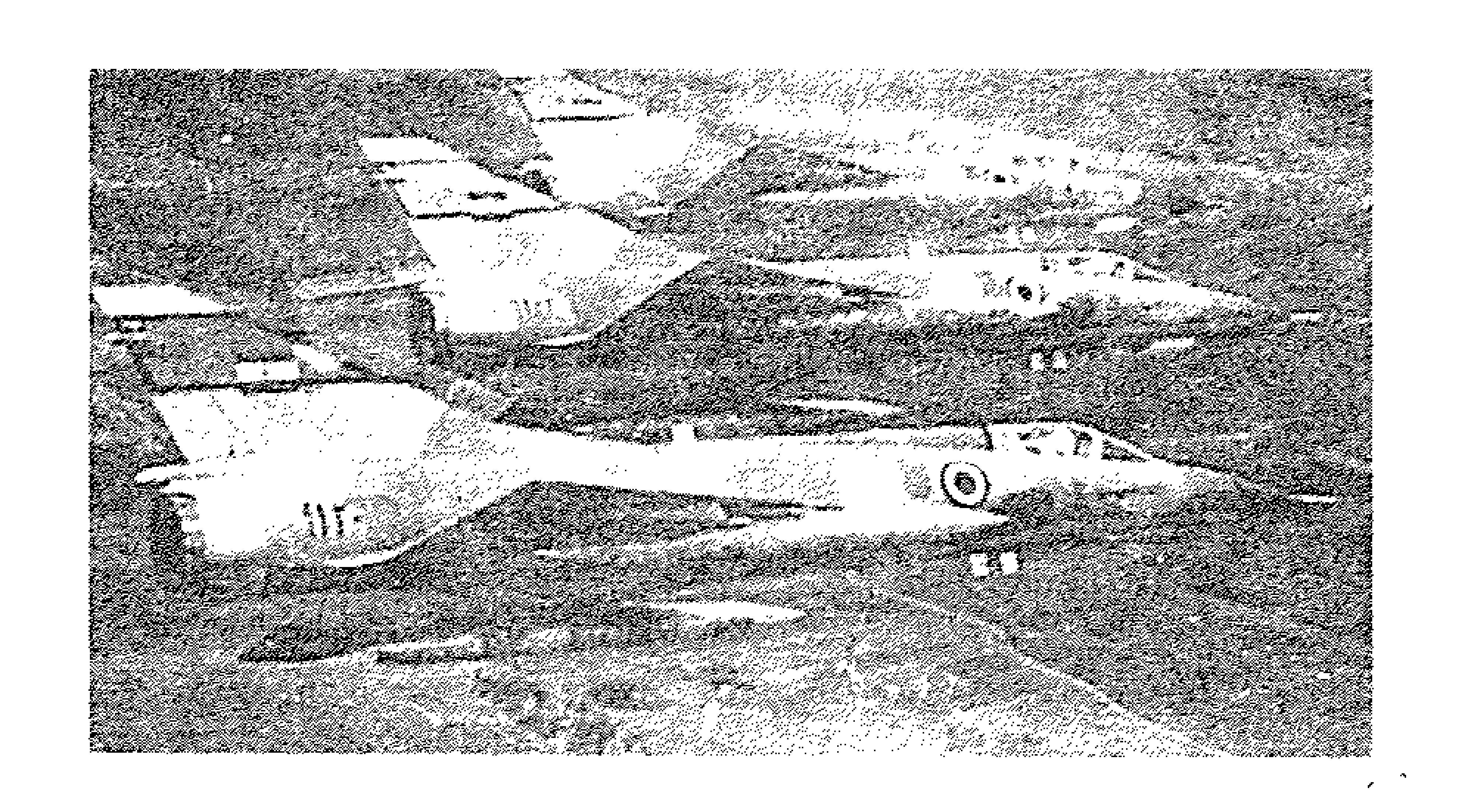
- أقتحمت اسرائيل مجال الفضاء بواسطة سلسلة من أقمار التجسس من طراز "أوفيك – الأفق" والمزود بالآت تصوير ومعدات حديثة تمكنه من مشاهدة ما يدور فى عمق مناطق العدو 'المنطقة العربية' بالإضافة الى طرز أخرى من أقمار التجسس الإسرائيلية منها "عموس" كما تشترك اسرائيل مع كل من روسيا والدنمارك لإطلاق قمر صناعى جديد تقوم روسيا بإنتاج الصاروخ القاذف للقمر الصناعى، فى حين تتكفل الدنمارك بعملية الأطلاق، وتقوم اسرائيل بإنتاج تلسكوب خاص به يتم تطويره حالياً بجامعة تل أبيب ومن المقرر أن يمكث هذا القمر الصناعى الجديد فى مداره حوالى ٥ سنوات تكون من مهامه التجسس على المنطقة العربية.

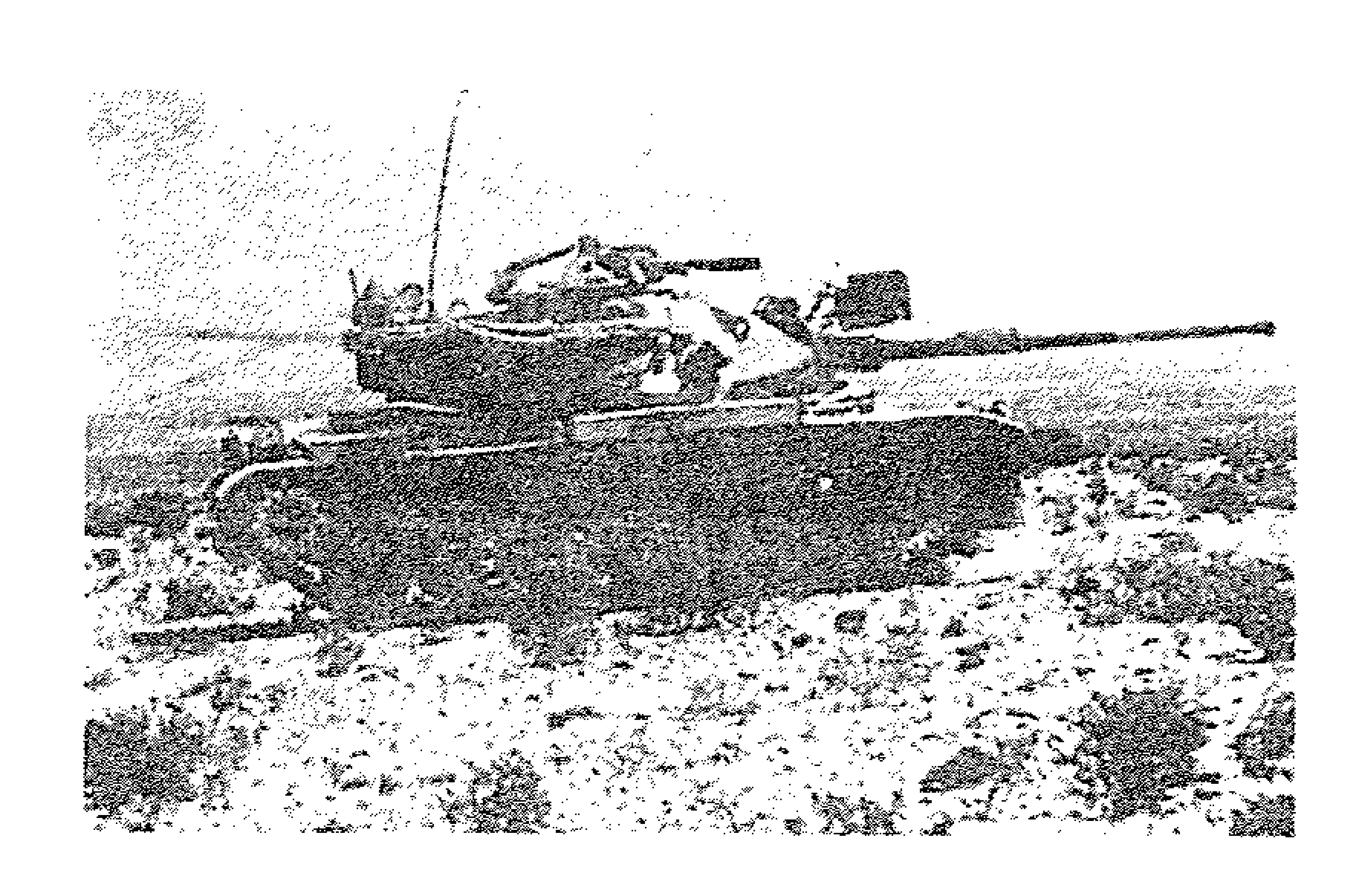
- فى عام ١٩٩١ أعلن صندوق النقد الدولى أن اسرائيل هى الدولة رقم (١) فى معدلات الإتفاق العسكرى فى العالم حيث انفقت فى الفترة من ٧٢-١٩٩٨ أكثر من دولار واحد من كل ٤ دولارات من إجمالى دخلها على استعدادات الحرب.

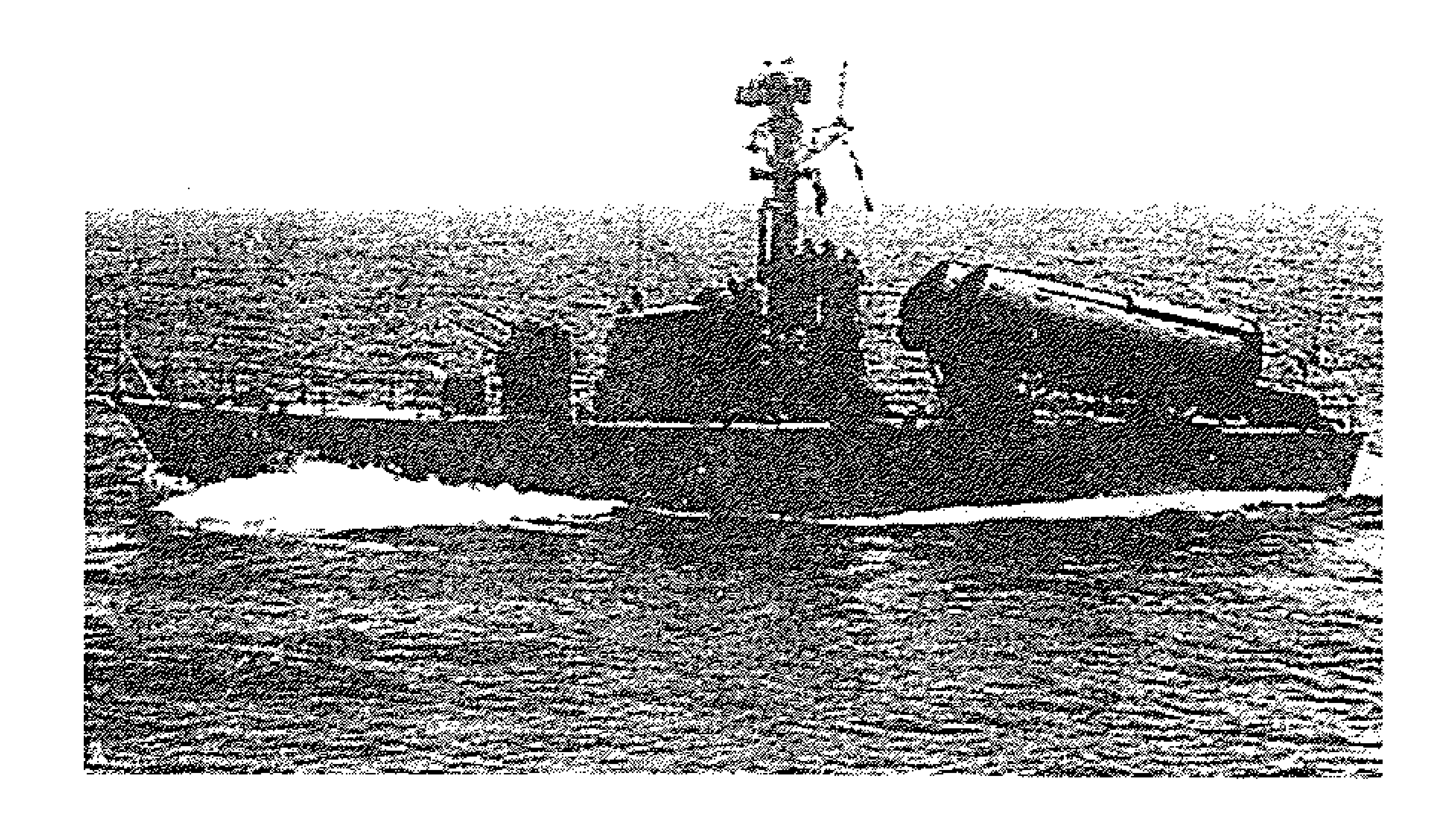
*****



مدى القاذفات الإسرائيلية







نماذج من أسلحتنا الحديثة

المصـــادر:

١- ذكريات البطل نفسه.

٢- كتاب الهلال الذهبى، الصادر فى أكتوبر ١٩٩٧.

٣- مجلة النصر، عدد أكتوبر ١٩٩٥.

٤- كتاب صائد الدبابات للمؤلف، الصادر فى ١٩٩٧.

"من الهيئة المصرية العامة للكتاب".

٥- جريدة الأخبار، عدد ٦٧٦١ بتاريخ ١٩٧٤/٢/٢٠.

*****

الفهرس

تم بحمد الله

ونلتقى بكم إن شاء الله

فى عمل عن بطولات الصاعقة المصرية

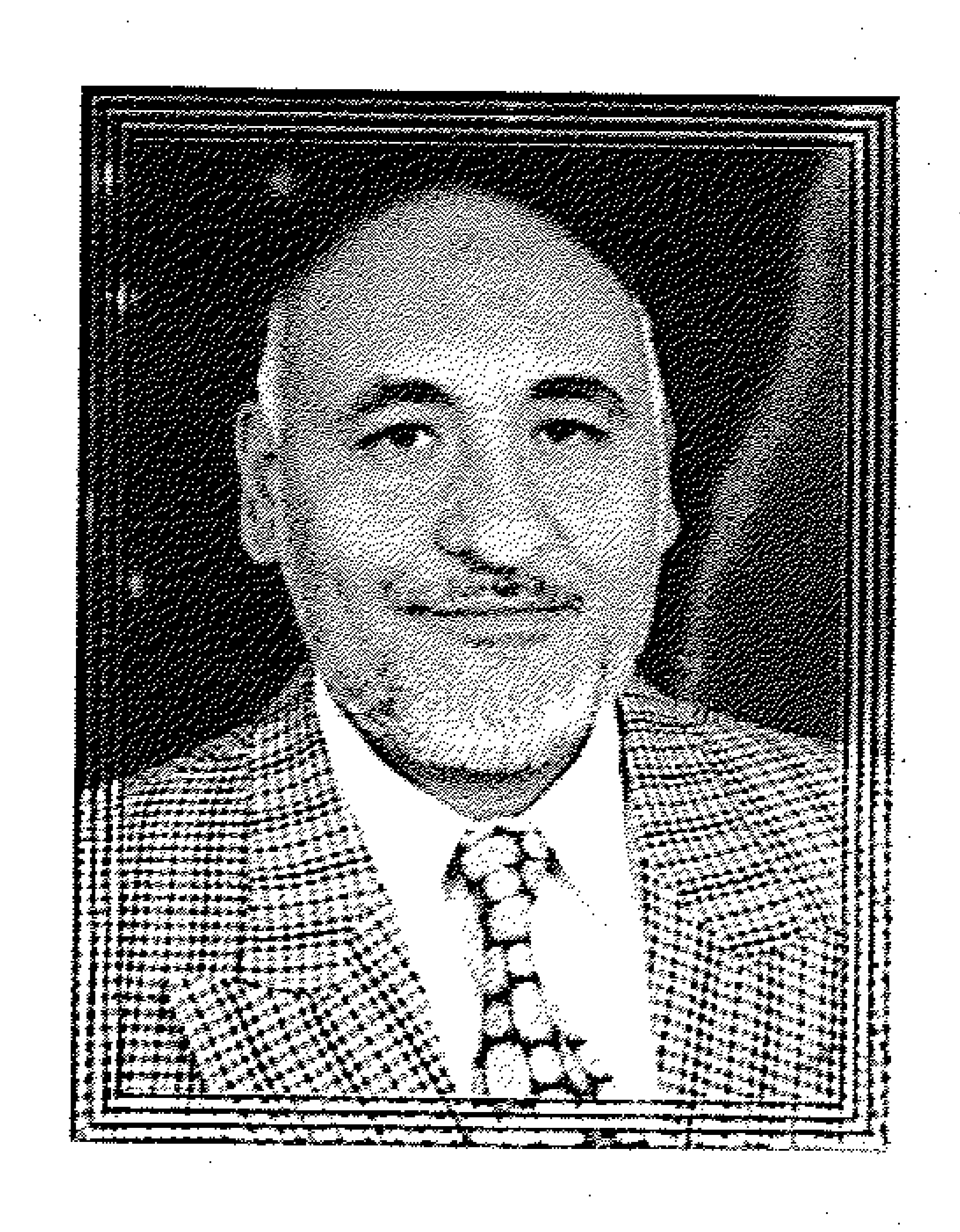
رقم الإيـــداع: ٩٩/٤٣٦٧
الترقيم الدولى:I.S.B.N 977-19-8374

الناشر

المؤلف .. أحمد على عطية الله

القاهرة ج. م . ع ت: ٤٢٤٤٣٩٦

إخراج فنى/ اسامة صالح



المؤلف :

عضو إتحاد الكتاب
وأخصائي إعلام أول
بالمركز القومي للبحوث
وصدر له مؤلفات آخرى

هذا الكتاب

يتناول بطولة أحد رجال القوات المسلحة من سلاح الدفاع الجوي والحائز على وسام نجمة سيناء أعلى وسام عسكري بالقوات المسلحة لإسق[illegible] من طائرات العدو الإسرائيلي بصاروخ[illegible] الكتف

السعر ٦ جنيهات